التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◆ العدد ٥٤٥ السنة السادسة والأربعون - جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ
الثمن ٢ جنيهات



غلاء الأسعار ودعوة للاستغفار



الكلام في الصلاة

فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد



الرشوة بين تغيير المسميات وتدمير المجتمعات



فقه الابتلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

البلاء موكل بالمنطق

جاء في لسان العرب لابن منظور أن عَبُّود: اسْمُ رَجُل ضُربَ به المَثَلُ فقيلَ: «نامَ نَوْمَةَ عَبُّود»، وَكانَ عبود رَجُلًا تَماوَتَ عَلَى أهله (مَثَّل دور الميت) وَقَالَ لزوجته: انْدُبيني لأعلم كَيْفَ تَنْدبينني (إذا أنا متُّ)، فَنَدَبَتْهُ (ولطمت عليه كتمثيل) فَمَاتَ (حقيقة) عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وجاء البلاء له ولزوجته من لسانه.

فالبلاء يأتي من اللسان والمنطق، فمن اصطنع الفقر افتقر، ومن تمارض جاءه المرض، ومن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السُّخط، ويُفهم ذلك أكثر إذا علمنا أن النبي عليه الصلاة والسلام زار مريضًا ودعا له بالشفاء والعافية، والمريض يصر ثلاث مرات على أن الله سيميته في هذا المرض، ومع إصراره قال له النبي عليه الصلاة والسلام: «هي ذا»، يعني ستكون عاقبتك على حسب قولك، وبالفعل مات الرجل ولم يَبِتْ إلا ليلة واحدة.

إذا كان الأمر كذلك فسنفهم جيدًا معنى قول ربنا عز وجل في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي؛ إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله».

فمن رأى البلاء فقال: الحمد لله، أتاه الخير الكثير، ومن رأى البلاء فقال: أيام سوداء، ودنيا ملطشة، فستكون كما قال: لا شيء محمود، وسينام البلاء عنده نومة عبود!!.

التحرير

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي



ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

في هذا العدد

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

آداب طلبة العلم

الحلقة الرابعة



بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com



الحمد لله العلي الغفار، والصلاة والسلام على النبي المصطفى المختار، وعلى آله وأصحابه الطيبين الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

ففي اللقاء الماضي كنت أتحدث عن تحمُّل المشاق في طلب العلم، وبينت طرفًا من أخبار أئمتنا- رحمهم الله- وما قدَّموه لذلك، وأواصل الحديث حول هذا فأقول:

إن الهمة العالية التي كانت لدى هؤلاء ينبغي لشباب الأمة الإسلامية أن يحذو حذوها، وهي نماذج عالية رفيعة يجب أن تُقدَّر وتُعرَف، لتكون نبراسًا اليوم لطالبي الخير والهدى، فيقبلون على طلب العلم، ومن استطاع أن يرحل فليلزم ذلك، وليكن لهم فيمن مضى عظة وعبرة، ورحم الله ابن الجوزي القائل: «كانت همم القدماء من العلماء عالية، تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم، إلا أن أكثر تصانيفهم دُثرت؛ لأن همم الطلاب ضعفت، فصاروا يطلبون المختصرات، ولا ينشطون للمطولات، ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها، فدثرت الكتب ولم تنسخ، فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب التي قد تختلف من المصنفات، فليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم وعلوهم ما يشحذ خاطره، ويحرِّك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة، وأعوذ بالله من سِيَر هؤلاء الذين نعاشرهم، لا نرى فيهم ذا همة عاليَة، فيقتدي به المبتدئ، ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد، فالله الله، وعليكم بملاحظة سِيَر السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم، كما قال:

فاتني أن أرى الديار بطرفي
فلعلي أرى الديار بسمعي

وإني أُخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره، فكأنني وقعت على كنز». (صيد الخاطر ص٤٩٢).

قلتُ: إذا كان هذا حال طلبة العلم في زمن ابن الجوزي رحمه الله، حيث أقبلوا على المختصرات وتركوا المطولات، وقد عابهم على ذلك، وأخبر بضعف همتهم، وقلة ورعهم، واستعاذ بالله من سِيَرهم، فماذا يقول لو رأى حالنا اليوم؟

ولذلك أنصح نفسي وإخواني من طلبة العلم بالصبر والاجتهاد في طلب العلم؛ لأن نيل المقامات العالية الرفيعة لا تكون إلا بمشقة عالية عزيزة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فمن دأب واصطبر فاز وارتفع.

وإلى جانب ذلك، فإن العلم عبادة وقربة، وشرف وسيادة لصاحبه، وصدق ابن القيم في قوله: «سلطان العلم أعظم من سلطان اليد، ولهذا ينقاد الناس للحجة ما لا ينقادون لليد، فإن الحجة تنقاد لها القلوب، وأما اليد فإنما ينقاد لها البدن، فالحجة تأسر القلب وتقوده، بل سلطان الجاه إن لم يكن معه علم يُساسُ به، فهو بمنزلة سلطان السباع والأسود ونحوها، قدرة بلا علم ولا رحمة، بخلاف سلطان الحجة، فإنه قدرة بعلم ورحمة وحكمة، ومن لم يكن له اقتدار في علمه، فهو إما لضعف حجته وسلطانه، وإما لقهر سلطان اليد والسيف له، وإلا فالحجة ناصرة نفسها، ظاهرة على الباطل، قاهرة له». (مفتاح دار السعادة ص٦٤).

٧- العمل بالعلم:

العلم يثمر خشية الله تعالى وتقواه، ولذا يجب على طالب العلم أن يتحلى بخشية الله تعالى ودوام مراقبته، حتى لا يكون العلم وبالاً عليه وحجة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من علم لا ينفع، كما في حديث زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع». (مسلم: ٢٧٢٣).

والعبد إذا وقف بين يدي الله سيُسأل عن علمه ماذا عمل فيه، كما في حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم». (سنن الترمذي ٢٤١٧).

والعلماء من خلال ما تعلموه من أعرف الناس بالله، ودفعتهم هذه المعرفة إلى تعظيم أوامره والابتعاد عن نواهيه، وقد توعد الله في كتابه من يقول ولا يعمل، فقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ» (الصف: ٢- ٣)، والمقت: هو أشد البغض وأبلغه. (انظر تفسير القاسمي ج١٦/٥٧٨٢).

كما ذم سبحانه قومًا أوتوا علمًا ولم يعملوا به فقال: «مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ» (الجمعة:٥)، وفي هذا المثل توبيخ شديد لمن تعلم ولم يعمل، وعلى رأس هؤلاء اليهود الذين أوتوا التوراة ولم يعملوا بها. قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في هذه الآية: «هذا مثلٌ ضربه الله ليهود وهو أنه شبَّههم بحمار، وشبَّه التوراة التي كُلفوا العمل بما فيها بأسفار، أي كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبَّه تكليفهم بالتوراة بحمل ذلك الحمار لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي في الكتب المحمولة على ظهره، فكذلك لم ينتفعوا بما في التوراة من العلوم النافعة، لأنهم كُلفوا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وإظهار صفاته للناس، فخانوا وحرَّفوا وبدَّلوا، فلم ينفعهم ما في كتابهم من العلوم».

ثم عقَّب تلميذه الشيخ عطية سالم رحمه الله على كلام شيخه السابق فقال: ««بئس مثل القوم» أي: تشبيههم في هذا المثل بهذا الحيوان المعروف». (أضواء البيان ١٩٥/٨).

تعلُّم العلم للعمل به:

وهذا الذي دفع سلفنا الصالح إلى تعلم العلم للعمل به، وقد ألف الخطيب البغدادي رحمه الله كتابًا خاصًا بهذا الموضوع سماه: «اقتضاء العلم العمل»، وقد فطنوا رحمهم الله إلى أن ما ورد في فضل العلم لا يحصل إلا لمن عمل به. قالِ ابن جماعة رحمه الله: «واعلم أن جميع ما ذكر في فضل العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين». (تذكرة

السامع والمتكلم ص١٣)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «قولوا خيرًا تُعرفون به، واعملوا به تكونوا من أهله». (مصنف ابن أبي شيبة ٢٩٢/١٣).

وقد أفاد وأجاد الراغب الأصبهاني رحمه الله عند ذكره للحقوق الواجبة على طالب العلم ومعلم الناس الخير، فقال: «حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويبصر ثم يبصِّر، ويهتدي ثم يهدي، ولا يكون كدفتر يفيد ولا يستفيد، وكمسنٍّ يشحذ ولا يقطع، بل يكون كالشمس التي تفيد القمر ولها أفضل مما تفيد، وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمى أكثر مما تفيد، ويجب ألا يجرح مقاله بفعاله، ولا يكذِّب لسانه حالُه، فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾» (البقرة:٢٠٤، ٢٠٥)، ونحو ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قصم ظهري رجلان: جاهل متنسك، وعالم متهتك، فالجاهل يغر الناس بنسكه، والعالم ينفرهم بتهتكه». (الذريعة إلى مكارم الشريعة ص١٨٤).

وينصح الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله طالب العلم بهذه الكلمات: «التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى محافظًا على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها، دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحليًا بالرجولة، والمساهلة والسمت الصالح، وملاك ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «أصل العلم خشية الله تعالى»، فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى». (حلية طالب ص٩).

ومن خشية الله تعالى ألا يتزيد طالب العلم بالكلام، ويدَّعي لنفسه الكمال، وألا يسلط لسانه على العباد، وقد أحسن الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في وصفه لهذا الصنف من الناس، فقال: «والمتطاول- كبت الله باطله- يسلّ لسانه على العباد فيتقيه المؤمنون، ويترفعون عن منازلته، فتكون العاقبة لهم، فيرتفع شأنهم عليه، ويكون قولهم الأعلى، أما هذا السليط المتسلط، فهو مبتلى- ويعلم الله- بأعظم بلية، وهي: موت القلب، ورؤيته القبيح حسنًا، وذهاب رصيده من القبول له في الأرض، ومن تعجيل العقوبة له: تخلُّفه عن أقرانه في القيمة الأدبية رغم تحرُّقه، وشدة تطلعه، أما في هذا الزمان، فقد ابتلي أهله بأناس جُهال، ادعوا العلم، وكافحوا عن دعواهم بالصَّلف واللسانة، والشغب والشراسة، وإذا لم يكن مع اللسان عقل يحجزه، دلَّ على عيب صاحبه، ولطرفة بن العبد:

وإن لسان المرء ما لم يكن له
حصاة على عوراته لدليل

(التعالم وأثره على الفكر والكتاب ص٦٩، ٧٠).

ثمرة العلم العمل به:

وفي الختام أقول لإخواني من طلبة العلم: إن ثمرة العلم العمل به، فالزم خشية الله تعالى وتقواه، وانتظم في سلك العلماء الربانيين الذين انتفعوا بالعلم، فصار سمتهم حسنًا، وسلوكهم حسنًا، مع سلامة الصدر وطهارة النفس، ومن كان من طلاب العلم كذلك دلَّ على الله بأفعاله وحسن أخلاقه، ونفع وانتفع، ورحم الله ابن تيمية في قوله عن العلم وطلابه: «وأما أهل العلم والدين الذين هم أهله، فهو مقصود عندهم لمنفعة لهم، وحاجتهم إليه في الدنيا والآخرة، كما قال معاذ بن جبل في صفة العلم: إن طلبه لله عباده ومذاكراته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، به يُعرَف الله ويُعبد، ويُمجَّد الله ويُوحَّد». (منهاج السنة ٢٠٩/٨).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من طلبة العلم العاملين به، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه. والحمد لله رب العالمين.



غلاء الأسعار ودعوة للاستغفار

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله القوي المتين، الملك الحق المبين، لا يخفى على سمعه خفي الأنين، وبعد:

فإن ما يعيشه الناس في هذه الأيام من غلاء وارتفاع في الأسعار جعل كثيرًا منهم في حيرة من أمرهم، يحسبون رواتبهم في حسرة فلا يجدونها تكفي نفقاتهم الضرورية إلا أيامًا قليلة من الشهر، وتظل نفقات باقي الشهر منحصرة في الديون والقروض.

وإن هذا الغلاء في الأسعار محنة من المحن، وعقوبة من العقوبات، وبلاء يرسله الله تعالى على الناس، والتاريخ مليء بصور بشعة من مآلات غلاء الأسعار، وكيف اضطر الناس لأكل الهوام والدواب.

وغلاء الأسعار من المصائب التي عمت بها البلوى في زماننا هذا، ولا ريب أنه من صور البلاء، والغلاء بلاء قديم، فعن أنس قال: «غَلاَ السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعِّرْ لَنَا. فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلاَ مَالٍ». (رواه أبو داود: ١٣١٤ وصححه الألباني).

الغلاء وحسن الظن بالله تعالى

ومع اشتداد موجة الغلاء التي أضرت بالناس إلا أنها مصيبة تهون عندما يُفوِّض الإنسانُ أمره إلى الله فيها، ويلجأ إليه، ويُحسنُ الظن به سبحانه، فهذا هو السبيل الأفضل الذي يخفف عن الناس آثار هذه المحنة، حتى يَضْمحل أمرها، وفي ذلك يقول رب العزة جل جلاله: «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ» (الطلاق:٣).

ولما كان الفقر والحاجة من آثار الغلاء، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بعظيم أثر التوكل على الله تعالى، وحسن الظن به في رفع هذا البلاء، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ». (رواه أبو داود: ٢٣٢٦، وصححه الألباني).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (رواه ابن ماجه: ٤١٦٤ وصححه الألباني).

الغلاء لا يحول بينك وبين رزق الله

ومع اشتداد موجة الغلاء فإن الناس تشرئب أفئدتهم وتخفق قلوبهم خوفًا على العيش والأرزاق، يا هؤلاء اطمئنوا لكرم الله تعالى، وثقوا بفضله، واعتمدوا عليه وحده، فهو الرزاق ذو القوة المتين، أليس الله بكاف عبده؟ بلى والله، وإننا أحوج ما نكون إلى الثقة واليقين برب العالمين، فهو القائل سبحانه: «وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ» (العنكبوت:٦٠)، وقال الله

تعالى: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ» (الذاريات:٢٢، ٢٣)، وهو القائل جل وعلا: «وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» (هود:٦)، فكل ما يدبُّ على وجه الأرض قد تعهد الله برزقه.

أليس الله هو القائل- سبحانه-: «وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (يونس:١٠٧)، فلا داعي للقلق على الأرزاق، فإن ربنا سبحانه وسع كل مخلوقاته فضلاً وبرًا وكرمًا وهو الجواد الكريم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس قد نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته». (رواه ابن ماجه: ٢١٤٤، وصححه الألباني).

وليعلم كل ذي بصيرة أن رب العُسر هو رب اليُسْر، وأن المحن باب إلى المنح، فاللهم «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم» نعوذ بك ربنا من الكفر والفقر.

الصبر على شظف العيش.. وضيق الحال

ومع اشتداد موجة الغلاء فليس للمؤمن غير الصبر دربًا يسلكه، ورب العزة سبحانه هو القائل: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» (البقرة:٤٥)، وقال تعالى وهو أصدق القائلين: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (البقرة:١٥٣)، وقال عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (آل عمران:٢٠٠).

وأغلى ثمرة للصبر أن ينال العبد معية الله تعالى، ومن كان الله معه فلن يضره شيء مما نزل به من بلاء أو غلاء أو غيره، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأنفال:٤٦)، وأعظم الصبر هو الصبر على شظف العيش وضيق الحال، قال الله تعالى: «وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة:١٧٧).

وما نزل بلاءٌ إلا بذنب، قال الله تعالى: «وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ» (الشورى:٣٠)، قال ابن كثير رحمه الله: «أي مهما أصابكم أيها الناس من مصائب إنما هو عن سيئات تقدمت لكم».

وما رُفع إلا بتوبة، فقد قيل لبعض السلف: ارتفعت الأسعار، فقالوا: أنزلوها بالاستغفار، والله سبحانه يُخبر عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا» (نوح:١١، ١٢).

الذنوب تسبب هلاك الحرث والنسل

ومع اشتداد موجة الغلاء فَحريٌّ بالمؤمن أن يتذكر ويعي جيدًا أن كثرة الذنوب والمعاصي، وبُعد الناس عن دينهم من أشد الأسباب التي أظهرت هذا الوباء العظيم، ومعلومٌ أن الذنوب تسبب هلاك الحرث والنسل، وتسبب انتشار الفساد في البر والبحر، قال تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم:٤١)، وقال تعالى: «وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ» (الشورى:٣٠).

والله تعالى يبتلى عباده ببعض ما كسبت أيديهم لكي ينتبهوا ويراجعوا أنفسهم، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ». (رواه ابن ماجه ٤٠١٩ وحسنه الألباني).

فهل نظر الناس لهذه الكلمات العظيمة التي أوضح فيها النبي صلى الله عليه وسلم آثار الذنوب التي تعود على أمة الإسلام بغير ما ترجوه.

التضييق على المؤمن في أمر دنياه بشارة فرج!

ومع اشتداد موجة الغلاء فحري بالمؤمن أن يعي جيدًا، أن التضييق عليه ليس نذير شؤم، بل بشارة فرج، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزقكم، وإن الله يؤتي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يؤتي الإيمان إلا لمن أحب». (أخرجه الحاكم في المستدرك ٩٤ وصححه ووافقه الذهبي).

فالغلاء لا يسوّغ أكل الحرام مهما احتاج العبد وافتقر، والغلاء لا يسوّغ الغفلة عن عبادة الله، وإفناء العمر في طلب الرزق، كما أن الغلاء لا يسوّغ التسخط من الحال والغفلة عن حمد الله، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله على كل حال.

فاللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا ضالاً إلا هديته، ولا مبتلى إلا عافيته، اللهم حكّم فينا كتابك وسنة نبيكم يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير



سورة الأحقاف

الحلقة السادسة

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا» (الأحقاف: ١٢- ١٤).

«وَهَذا كتَابُ» يَعْني الْقُرْآنَ «مُصَدِّقُ» أيْ لما قَبْلَهُ من الْكُتُب، كَمَا قَالَ تعَالَى: «ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ» (آل عمران: ١-٣)، وَقَالَ تعَالَى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ» (المائدة: ٤٨) وإنما ذكَرَ الله تَعالى كتَّابَ مُوسَى وَلَمْ يَذْكُرْ كتَابَ عيسَى لأنَّ التَّوْرَاةَ كَانَتْ هيَ الأصْل، وَكَانَتْ هيَ الشَّرِيعَةَ الَّتي أمَرَ الله بهَا بَنِي إسْرَائيل، وَأمَّا الإنْجيلُ فَلَمْ يَكُنْ فيه كَثيرُ تَشْرِيع، وَإنَّمَا قَالَ عيسَى عليه السلام: «وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» (آل عمران: ٥٠).

ثُمَّ وَصَفَ الله تَعَالَى الْكتَابَ بكَوْنه «لسَانًا عَرَبيًّا» أيْ فَصيحًا بَيِّنًا وَاضحًا «لِيُنْذرَ الَّذينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسنينَ» أيْ مُشْتَملٌ عَلَى النُّذارَةَ لِلْكَافرِينَ وَالْبشَارَةَ لِلْمُؤْمنينَ. (تفسير القرآن العظيم(٤/١٥٦)).

فَهَذه هيَ وَظيفَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (الإسراء: ٩- ١٠)، وَقَالَ تَعَالَى: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا» (الكهف: ١-٤).

«إنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ»:

إنَّ الإيمَانَ لَيْسَ مُجَرَّدَ كَلمَات تُنْطَقُ، وَلاَ حُرُوفٌ يُتَرجِمُهَا اللسَانُ، وَلَكنَّ الإيمَانَ عَقيدَةٌ وَعَمل، عَقيدَةٌ صَالحَة، سَليمَةٌ منْ شَوَائب الشِّرْك، تَسْتَقرُّ أوَّلاً في الْقَلْب، وَعَمَلٌ صَالحٌ، سَليمٌ منْ شَوَائب الْبدْعَة، يَظْهَرُ عَلَى الْجوَارح، مُعَبِّرًا عَنْ تَمَكُّن تلْكَ الْعَقيدَة منْ ذَلكَ الْقَلْب، وَفي ذَلكَ يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (إبراهيم: ٢٤- ٢٥)، فَهَذا مَثَلُ الْكَلمَة الطَّيِّبَة، كَلمَة التَّوْحيد، كَلمَة التَّقْوى، كَلمَة لا إلَهَ إلاَّ الله، حينَ تَسْتَقرُّ في الْقَلْب وَتَتَمَكَّنُ منْه، وَتَضْربُ بجُذُورهَا في أرْضه، لابُدَّ أنْ تَرْتَفعَ

أَغْصَانُهَا بِثِمَارِهَا، وَأَنْ تَظْهَرَ هَذِهِ الثِّمَارُ عَلَى الْجَوَارِحِ أَعْمَالاً صَالِحَةً تَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ» وَهَذِهِ هِيَ الْعَقِيدَةُ، هَذِهِ هِيَ أُصُولُ الدِّينِ وَأَرْكَانُ الإِيمَانِ، ثُمَّ عَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا صَالِحَ الأَعْمَالِ وَالأَخْلاقِ فَقَالَ: «وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ»، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا» أَيْ فِي قَوْلِهِمْ آمَنَّا بِاللَّهِ، «وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧).

وَقَدْ عَبَّرَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا»، وَالْمُرَادُ بِالْقَوْلِ قَوْلُ الْقَلْبِ وَهُوَ الاعْتِقَادُ، وَقَوْلُ اللِّسَانِ وَهُوَ الإِقْرَارُ، فَهُمْ قَالُوهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ صَدَّقَتْ بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَإِلاَّ فَقَوْلُ اللِّسَانِ دُونَ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، لأَنَّهُ نِفَاقٌ، وَلِذَلِكَ كَذَّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» (المنافقون: ١)، لأَنَّهُمْ قَالُوهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلَمْ تُصَدِّقْهَا قُلُوبُهُمْ وَلَمْ تُوقِنْ بِهَا.

ثُمَّ عَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْقَوْلِ الاسْتِقَامَةَ الَّتِي تَشْهَدُ بِصِدْقِ الْقَوْلِ، وَبِذَلِكَ وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ». (صحيح مسلم: ٣٨).

وَالاسْتِقَامَةُ هِيَ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَاسْتِقَامَةُ الْجَوَارِحِ عَلَى الطَّاعَةِ.

كَمَا فَسَّرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَغَيْرُهُ قَوْلَهُ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» بِأَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى غَيْرِهِ.

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» قَالَ: اسْتَقَامُوا عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِهِ.

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: ثُمَّ أَخْلَصُوا لَهُ الدِّينَ وَالْعَمَلَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: اسْتَقَامُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَعَلَى خَشْيَتِهِ، وَإِجْلالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ، وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ، اسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا عَلَى طَاعَتِهِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ هُوَ مَلِكُ الأَعْضَاءِ، وَهِيَ جُنُودُهُ، فَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ، اسْتَقَامَتْ جُنُودُهُ وَرَعَايَاهُ.

فَالاسْتِقَامَةُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ هِيَ عُنْوَانُ صِدْقِ الْعَبْدِ فِي قَوْلِهِ رَبِّيَ اللَّهُ، أَمَّا الانْحِرَافُ وَالزَّيْغُ وَالرَّوَغَانُ فَإِنَّهُ يُنَافِي قَوْلَهُ رَبِّيَ اللَّهُ، وَلِذَلِكَ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» فَقَالَ: لَمْ يَرُوغُوا رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ. (جامع العلوم والحكم (ص١٧٨) بتصرف)

فَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الاسْتِقَامَةِ، أَنْ تَفْعَلَ الْوَاجِبَاتِ وَتَتْرُكَ الْمُحَرَّمَاتِ، أَمَّا فِعْلُ الْمُحَرَّمَاتِ وَتَرْكُ الْوَاجِبَاتِ فَإِنَّهُ يُنَافِي قَوْلَ رَبِّيَ اللَّهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَائِلُ:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ
هَذَا وَرَبِّكَ فِي الْقِيَاسِ شَنِيعُ
لَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي حُبِّهِ لأَطَعْتَهُ
إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا هَدَانَا لِقَوْلِ رَبُّنَا اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا الاسْتِقَامَةَ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ أَعْظَمُ كَرَامَةٍ يُكْرِمُ اللَّهُ بِهَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: لا يَكُنْ هَمُّكَ الْكَرَامَةَ، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ الاسْتِقَامَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنْكَ الاسْتِقَامَةَ، وَنَفْسَكَ تُرِيدُ الْكَرَامَةَ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءَ مَنِ اسْتَقَامَ كَمَا أَرَادَ فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» فِي مُسْتَقْبَلِهِمْ، «وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ» عَلَى مَا خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا»: «لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا» (الكهف: ١٠٨)، «وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ» (الحجر: ٤٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يفقهنا في ديننا.

باب العقيدة

معنى الشَّهادتين وأركانهما وشروطهما ومقتضاهما ونواقضهما

الحلقة السادسة

إعداد/ د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: ما يزال الحديث متصلاً عن توحيد الله تعالى والقضايا المتعلقة به، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: معنى الشهادتين

معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار، إنَّه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك والعمل به، (فلا إله) نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة كائنًا من كان (إلا الله) إثباتٌ لاستحقاق الله وحده للعبادة، ومعنى هذه الكلمة إجمالاً: لا معبودَ بحقٍ إلا الله. وخبر (لا) يجب تقديره: (بحقٌ) ولا يجوز تقديره بموجود؛ لأنَ هذا خلاف الواقع، فالمعبودات غيرُ الله موجودة بكثرة؛ فيلزم منه أن عبادة هذه الأشياء عبادة لله، وهذا من أبطل الباطل وهو مذهب أهل وحدة الوجود الذين هم أكفر أهل الأرض. وقد فُسّرتْ هذه الكلمةُ بتفسيرات باطلة منها:

(أ) أن معناه: لا معبودَ إلا الله. وهذا باطلٌ؛ لأن معناه: أن كل معبود بحقٍ أو باطل هو الله، كما سبق بيانه قريبًا.

(ب) أن معناها: لا خالقَ إلا الله. وهذا جزء من معنى هذه الكلمة؛ ولكن ليس هو المقصود؛ لأنه لا يثبت إلا توحيد الربوبية، وهو لا يكفي وهو توحيد المشركين.

(جـ) أن معناها: لا حاكميَةَ إلا لله، وهذا أيضًا جزء من معناها، وليس هو المقصود؛ لأنه لا يكفي، لأنه لو أفرد الله بالحاكمية فقط ودعا غير الله أو صرف له شيئًا من العبادة لم يكن موحدًا، وكل هذه تفاسير باطلة أو ناقصة؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في بعض الكتب المتداولة.

والتفسيرُ الصحيح لهذه الكلمة عند السلف والمحققين:

أن يُقالَ: (لا معبود بحق إلا الله) كما سبق.

٢- ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: هو الاعتراف باطنًا وظاهرًا أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبدَ اللهُ إلا بما شرع.

ثانيًا: أركان الشهادتين

أ- لا إله إلا الله: لها ركنان هما: النفي والإثبات:

فالركن الأول: النفي: لا إله: يُبطل الشرك بجميع أنواعه، ويُوجب الكفرَ بكل ما يعبد من دون الله.

والركن الثاني: الإثبات: إلا الله: يثبت أنه لا يستحق

العبادة إلا الله، ويُوجب العمل بذلك. وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: «فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ» (البقرة: ٢٥٦).

فقوله: (من يكفر بالطاغوت) هو معنى الركن الأول (لا إله) وقوله: (ويؤمن بالله) هو معنى الركن الثاني (إلا الله).

وكذلك قوله عن إبراهيم عليه السلام: «إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي» (الزخرف: ٢٦، ٢٧).

فقوله: (إنني براء) هو معنى النفي في الركن الأول، وقوله: (إلا الذي فطرني) هو معنى الإثبات في الركن الثاني.

أركان شهادة أن محمدًا رسول الله: لها ركنان هما قولنا: عبده ورسوله، وهما ينفيان الإفراط والتفريط في حقه صلى الله عليه وسلم فهو عبده ورسوله، وهو أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين، ومعنى العبد هنا: المملوك العابد، أي: أنه بشرٌ مخلوق مما خلق منه البشر؛ يجري عليه ما يجري عليهم، كما قال تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» (الكهف: ١١٠)، وقد وفَّى صلى الله عليه وسلم العبوديّة حقَّها، ومدحه الله بذلك، قال تعالى: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» (الزمر: ٣٦)، «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ» (الكهف: ١)، «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» (الإسراء: ١).

ومعنى الرسول: المبعوث إلى الناس كافة بالدعوة إلى الله بشيرًا ونذيرًا.

وفي الشهادة له بهاتين الصفتين: نفي للإفراط والتفريط في حقه صلى الله عليه وسلم، فإن كثيرًا ممن يدعي أنه من أمته أفرط في حقه، وغلا فيه؛ حتى رفعه فوق مرتبة العبودية إلى مرتبة العبادة له من دون الله؛ فاستغاث به من دون الله، وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله؛ من قضاء الحاجات وتفريج الكربات. والبعض الآخر جحد رسالته أو فرط في متابعته، واعتمد على الآراء والأقوال المخالفة لما جاء به؛ وتعسَّفَ في تأويل أخباره وأحكامه.

ثالثًا: شروط الشهادتين

أ- شروط لا إله إلا الله

لابد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها؛ وهي على سبيل الإجمال: (الأول: العلم المنافي للجهل. الثاني: اليقين المنافي للشك. الثالث: القبول المنافي للرد. الرابع: الانقيادُ المنافي للترك. الخامس: الإخلاص المنافي للشرك. السادس: الصدق المنافي للكذب. السابع: المحبة المنافية لضدها وهو البغضاء). وأما تفصيلها فكما يلي:

الشرط الأول: العلم

أي العلم بمعناها المراد منها وما تنفيه وما تُثبته، المنافي للجهل بذلك، قال تعالى: «إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (الزخرف: ٨٦).

الشرط الثاني: اليقين

بأن يكون قائلها مستيقنًا بما تدلّ عليه؛ فإن كان شاكًا بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا» (الحجرات: ١٥).

الشرط الثالث: القبول

لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه؛ فمن قالها ولم يقبل ذلك ولم يلتزم به؛ كان من الذين قال الله فيهم: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ» (الصافات: ٣٥، ٣٦).

الشرط الرابع: الانقياد

لما دلت عليه، قال تعالى: «وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ» (لقمان: ٢٢).

والعروة الوثقى: لا إله إلا الله؛ ومعنى يسلم وجهه: أي ينقاد لله بالإخلاص له.

الشرط الخامس: الصدق

وهو أن يقولَ هذه الكلمة مصدقًا بها قلبُه، فإن قالَها بلسانه ولم يصدق بها قلبُه؛ كان منافقًا كاذبًا، قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا» إلى قوله: «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (البقرة: ٨-١٠).

الشرط السادس: الإخلاص

وهو تصفيةُ العمل من جميع شوائب الشرك؛ بأن لا يقصد بقولها طمعًا من مطامع الدنيا، ولا رياء ولا سمعة؛ لما في الحديث الصحيح من حديث عتبان قال: (فإنَّ الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله) (الحديث أخرجه الشيخان).

الشرط السابع: المحبة

لهذه الكلمة، ولما تدل عليه، ولأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ»

(البقرة: ١٦٥).

فأهل (لا إله إلا الله) يحبون الله حبًا خالصًا، وأهل الشرك يحبونه ويحبون معه غيره، وهذا ينافي مقتضى لا إله إلا الله.

ب- وشروطُ شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله هي:

١- الاعتراف برسالته، واعتقادها باطنًا في القلب.

٢- النطق بذلك، والاعتراف به ظاهرًا باللسان.

٣- المتابعة له؛ بأن يعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.

٤- تصديقه فيما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة.

٥- محبته أشد من محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين.

٦- تقديم قوله على قول كل أحد، والعمل بسنته.

رابعًا: مقتضى الشهادتين

أ- مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله

هو ترك عبادة ما سوى الله من جميع المعبودات، المدلول عليه بالنفي وهو قولنا: (لا إله). وعبادةُ الله وحده لا شريك له، المدلول عليه بالإثبات، وهو قولنا: (إلا الله)، فكثير ممن يقولها يُخالف مقتضاها؛ فيثبت الإلهية المنفية للمخلوقين والقبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار.

ب- ومقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله

طاعتهُ وتصديقهُ، وترك ما نهى عنه، والاقتصار على العمل بسنته، وترك ما عداها من البدع والمحدثات، وتقديم قوله على قول كل أحد.

خامسًا: نواقض الشهادتين

هي نواقض الإسلام؛ لأن الشهادتين هنا هما اللتان يدخل المرء بالنطق بهما في الإسلام، والنطق بهما اعتراف بمدلولهما، والتزام بالقيام بما تقضيانه؛ من أداء شعائر الإسلام، فإذا أخل بهذا الالتزام فقد نقض التعهد الذي تعهد به حين نطق بالشهادتين. ونواقض الإسلام كثيرةٌ قد عقد لها الفقهاء في كتب الفقه بابًا خاصًا سموه (باب الردة)، وأهمها عشرة نواقض ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في قوله:

١- الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ» (النساء: ٤٨، ١١٦)، وقال تعالى: «إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (المائدة: ٧٢). ومنه الذبحُ لغير الله؛ كالذبح للأضرحة أو الذبح للجن.

٢- من جعل بينَهُ وبينَ الله وسائط؛ يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ فإنه يكفر إجماعًا.

٣- من لم يكفر المشركين، ومن يشكُ في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر.

٤- من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم، ويفضلون حكم القوانين على حكم الإسلام.

٥- من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم- ولو عمل به-؛ كفر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه؛ كفر، والدليل على ذلك قوله تعالى: «قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» (التوبة: ٦٥، ٦٦).

٧- السحرُ، ومنهُ الصرفُ والعطفُ (لعله يقصد عمل ما يصرفُ الرجلَ عن حب زوجته، أو عمل ما يحببها إليه) فمن فعله، أو رضي به؛ كفرَ، والدليل قوله تعالى: «وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ» (البقرة: ١٠٢).

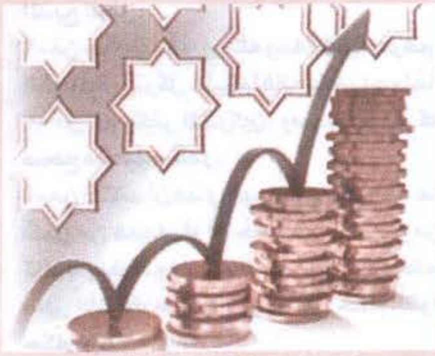
٨- مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: «وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (المائدة: ٥١).

٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، عليه السلام؛ فهو كافر. قلت: وكما يعتقده غلاة الصوفية أنهم يصلون إلى درجة لا يحتاجون معها إلى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٠- الإعراض عن دين الله، لا يتعلمُهُ، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ» (الأحقاف: ٣)، «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ» (السجدة: ٢٢).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (لا فرق في جميع هذه النواقض، بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرَها، ويخاف منها على نفسه، نعوذُ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



باب الاقتصاد الإسلامي

الضوابط الشرعية في المعاملات الاقتصادية

الحلقة الثالثة



إعداد/ د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: ما يزال الحديث متصلاً عن الضوابط الشرعية في المعاملات الاقتصادية، وفي هذا العدد نتناول بواعث الالتزام بالقيم والضوابط الشرعية في المعاملات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

حرمة وبطلان الأعمال التي تفتح الباب إلى المفاسد:

ومعنى ذلك تجنُّب أيّ معاملة تفتح الباب إلى مفسدة خاصة أو عامة؛ لأن الأصل في المعاملات تحقيق المنافع، ودليل ذلك ما قاله جابر رضي عنه -: إنه سمع رسول الله-صلى الله عليه مسلم- عام الفتح يقول: " إن الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام"، فقيل يا رسول الله: أرأيت شحوم الميتة فإنه يُطلى بها السفن ويُدَّهن بها الجلود ويَستصبح الناس بها؟ قال: "لا، هو حرام"، ثم قال-صلى الله عليه وسلم-: "قاتل الله اليهود، إن الله حرَّم عليهم الشحوم فأجملوها، ثم باعوه فأكلوا ثمنه " (أخرجه البخاري).

وقال كذلك: " من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ليهودي أو نصراني أو من يتخذه خمرًا فقد تقحم النار على بصيرة " (أخرجه الطبراني في الأوسط).

ويقوم هذا الضابط على القاعدة الفقهية: "درء المفاسد مقدَّم على جلب المنافع".

المحافظة على الأموال:

ويعني ذلك أنه يجب على المسلم أن يأخذ بالأسباب في المعاملات المالية التي تحمي المال من الهلاك وعدم تعرضه للمخاطر المالية الجسيمة التي تقود إلى الضياع، كما يتخذ التدابير اللازمة للمحافظة على المال من السرقة والابتزاز والرشوة، ولقد أشار القرآن إلى ذلك في قول الله عز وجل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا »(النساء: ٢٩)، وقوله-سبحانه وتعالى-: « وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (البقرة:١٨٨)، ولقد أوصانا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بالمحافظة على الأموال، فقال: "..ومن قُتل دون ماله فهو شهيد" (متفق عليه)، وقوله-صلى الله عليه وسلم-: " إن الله كره إليكم ثلاث: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال " (أخرجه البخاري ومسلم).

ودليل هذا الضابط من القواعد الفقهية ما يلي:

-أكل المال بالباطل حرام.

-لا ضرر ولا ضرار.

تنمية الأموال بالاستثمار:

ويعني ذلك عدم اكتناز المال وحبسه عن وظيفته التي خلقها الله له؛ لأن ذلك يؤدي إلى انخفاض قيمته بسبب أداء الزكاة والتضخم، وفي هذا المقام ينهانا الله عز وجل عن الاكتناز، ويحثنا على الاستثمار فيقول: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (التوبة: ٣٤)، ويحض الرسول-صلى الله عليه وسلم- على الاستثمار، فيقول: "استثمروا أموالكم حتى لا تأكلها الصدقة" (أخرجه أحمد).

ويدخل هذا الضابط في نطاق تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، ومنها حفظ المال.

الاستغفار لتحقيق البركات في الأموال:

وتعنى هذه القاعدة ذلك أنه على المسلم التقي الورع أن يُكثر من الاستغفار لتطهير الأموال والمعاملات من الحرام، ولتحقيق البركة، ودليل هذا الضابط من القرآن الكريم قول الله-تبارك وتعالى-: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا» (نوح: ١٠-١٢)، والدليل من السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل همٍّ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب" (أخرجه أبو داود).

ويدخل هذا الضابط في نطاق القاعدة الفقهية العامة: "إنما الأعمال بالنيات"، والقاعدة "حفظ المال من مقاصد الشريعة الإسلامية".

تعقيب على الضوابط الشرعية للمعاملات المالية

تعتبر الضوابط الشرعية السابقة الدستور الإسلامي للمعاملات المالية، والذي يُنظر إليه على أنه الأساس لوضع اللوائح والنظم والإجراءات التنفيذية في الواقع العملي، وكذلك المرجع الأساس لاختيار السبل والوسائل والأدوات المعاصرة التي تُستخدم في تنفيذ المعاملات المالية، كما تصلح أن تكون مرجعًا لأيّ برنامج اقتصادي إسلامي وبديل للبرامج الوضعية غير الإسلامية.

ثمرات الالتزام بالضوابط الشرعية في المعاملات المالية المعاصرة:

من البركات المرجوة من الالتزام بالضوابط الشرعية في المعاملات المالية ما يلي:

أولاً: الارتياح القلبي والاطمئنان النفسي من أن المسلم الذي يلتزم بشرع الله-سبحانه وتعالى- ويتجنب محارمه، ولا يستشعر ذلك إلا أصحاب القلوب الخائفة من الله، والراجية رضاه، والطامعة في جنته.

ثانيًا: تحقيق الخير والبركة والزيادة في الأموال وفي الأرباح، وتجنب المحق والحياة الضنك، وهذا في حد ذاته يزيد من الاطمئنان من أن الله هو الرازق، وأن بيده كل شيء.

ثالثًا: الوقاية من ارتكاب الذنوب والمعاصي والرذائل الاقتصادية التي تقود إلى فساد العقيدة والأخلاق أحيانًا، حيث إن للفساد الاقتصادي أثرًا على الفساد الأخلاقي، كما يقود الفساد الأخلاقي إلى فساد اقتصادي.

رابعًا: تجنب الشك والريبة والخصام والشجار بين المسلمين، والمحافظة على رابطة الأخوة الصادقة والحب في الله، فالالتزام بالضوابط الشرعية من موجبات المحافظة على العلاقات الطيِّبة بين الناس.

خامسًا: سلامة واستقرار المعاملات بين الناس الخالية من الغش والغرر والجهالة والتدليس والربا.. وغير ذلك من صور أكل أموال الناس بالباطل، وهذا من موجبات وجود السوق الحرة الطاهرة.

سادسًا: تقديم الإسلام للناس على أنه دين شامل ومنهج حياة، وليس دين عبادات وشعائر وعواطف فقط، بل يمزج بين الروحانيات والماديات، وبين العبادات والمعاملات، والإسلام صالحٌ للتطبيق في كل زمان ومكان.

سابعًا: تفيد هذه الضوابط رجال الدعوة الإسلامية من وعاظ وعلماء ونحوهم في الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم، وكيفية ربط المفاهيم والقواعد والضوابط بالتطبيق العملي، كما تساعدهم في الإجابة على الاستفسارات المالية المعاصرة، وبيان الجائز والمنهي عنه شرعًا.

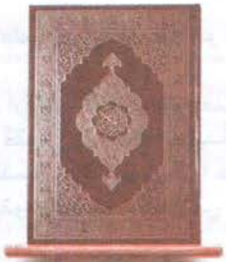
ثامنًا: تقديم نماذج عملية من المعاملات المالية التي تقوم على مرجعية فقهية مرنة وقابلة للتطبيق وتستوعب مستجدات العصر، وفي هذا بيان لعظمة الإسلام وعراقة الحضارة الإسلامية، والتأكيد على أنّ سبب تخلف الدول الإسلامية يرجع إلى عدم الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة.

تاسعًا: تساعد هذه الضوابط الأفراد والشركات والمؤسسات ورجال الأعمال، ومن في حكمهم، على أن يضعوا اللوائح المالية في ضوء الضوابط الشرعية وليس وفقًا لما يخالف شريعة الإسلام.

عاشرًا: تساعد هذه الضوابط كذلك في إعادة النظر في القوانين الاقتصادية والمالية والاستثمارية، وما في حكمها في البلاد العربية والإسلامية لتتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وأن يكون نظامها الاقتصادي والمالي والأساليب والسبل التنفيذية مطابقة للشريعة كذلك.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس .. شبهات وردود



القصة في كتاب الله

الحلقة الثانية

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك مدبر الأمر بيده الملك والملكوت يغفر لمن يشاء برحمته، ويعذب من يشاء بعدله، سبحانه لا رادَّ لأمره ولا معقّب لحكمه، وبعدُ:

في اللقاء السابق تحدثنا عن الفرق بين معصية آدم ومعصية الشيطان، ولأهمية هذا الموضوع نلخصه فيما يلي:

١- عصى آدم عليه السلام ربه من باب الضعف البشري والنسيان الفطْري، فلمَّا ذكَّره ربه تذكر وتاب فتاب الله عليه وهداه؛ لأنَّه سبحانه يغفر الذنب ويقبل التوب وهو الغفور الرحيم، فكانت الرحمة لآدم وذريته.

٢- عصى إبليس (الشيطان) ربه من باب الكِبر والغرور، فلم يتب ولم يستغفر؛ لأنه جعل نفسه نـدًّا لله؛ فطرده الله من رحمته وجنته، وجعل جهنم موعده هو ومن اتبعه من الإنس والجن؛ لأنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فكانت اللعنة لإبليس وأتباعه.

إذن هذا هو الفرق الجوهري بين معصية جاءت من باب الضعف والنسيان فأعقبها ندم وتوبة وعدم إصرار على الذنب، وهذه حال آدم وكل من يقتدي به من ذريته؛ لأنهم ليسوا ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، بل خلقهم الله يذنبون ويتوبون فيغفر الله لهم، وبين معصية نشأت عن كبر ومعارضة لأمر الله وإصرار على ذلك فلا ندم ولا توبة، وهذه حال إبليس ومن تبعه من الإنس والجن، نعوذ بالله من ذلك.

وأقول هذا القدر من الفهم الصحيح للفرق بين المعصيتين يكفي ويشفي لو لم تُلقَ شبهات من هنا وهناك؛ يلقيها الشيطان في قلوب أتباعه، ومن ثَم تؤثر في سلوك عباده الصالحين في طريقهم إلى الله حين تقع في طريقهم، ولأنَّ الشبهات والشهوات صارت اليوم تقذف في طريق الناس من كل حدب وصوب وجب التنبيه، والله المستعان.

أولاً: شبهة قديمة تجدد (فحج آدم موسى):

هذه جملة من حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما، وإليك نص الحديث من رواية الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنَّة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فحجَّ آدمُ موسى». وفي بعض روايات الحديث تكرار لجملة (فحج آدم موسى)، مرتين أو ثلاثًا، وهناك بعض الاختلاف في بعض روايات الحديث؛ لكنَّها لا تؤثر في المعنى العام للحديث.

وهذا الحديث رفضه القدَرية لأنه يثبت القدر السابق، واحتج به الجبرية ظنًّا منهم أنَّه يؤكد مذهبهم في الجبر، وتوسط أهل السنة في فهم الحديث؛ لأنَّهم الأمة الوسط، وهذا المعنى الصحيح للحديث فآدم حجَّ موسى في تقدير هبوطه من الجنَّة، لأنَّ الله خلقه ابتداءً للأرض وقد أكدنا هذا في المقال السابق، وهذا واضح

في قوله تعالى للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » (البقرة:٣٠).

فالاحتجاج بالقدر إنَّما يكون على المصائب وليس على المعايب، (أي الذنوب)، فالاحتجاج بالقدر على الذنوب من فعل المشركين الذين اتخذوا الشياطين أولياء كما أخبرنا ربنا عنهم في كتاب الكريم، فقال سبحانه: «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (الأعراف: ٢٧- ٢٨)، وقال تعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ » (الأنعام:١٤٨).

وهكذا يلقي الشيطان ألسنة أوليائه أن يقولوا على الله ما لا يعلمون وأن يحتجوا بالقدر على الذنوب والمعاصي، بل وعلى الشرك الذي أمرهم الشيطان به ثمَّ سوَّل لهم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، وهذا العمل الذي هو من فعل الشيطان وأوليائه من الجن والإنس يتنزه عنه آحاد المؤمنين فضلاً عن أبي البشر الذي اصطفاه الله وبعثه رسولاً ونبيًا في ذريته، وكذلك يتنزه عنه كليم الله ورسوله موسى عليه السلام فلا آدم اعتذر بالقدر عن معصيته بدليل أنَّه تاب منها وقبل الله توبته وقُضي الأمر، وكذلك موسى عليه السلام يعلم أنَّ آدم تاب فتاب الله عليه، إنَّما كان الكلام عن الخروج من الجنَّة، وهذا الذي حاج فيه آدم موسى.

ثانيًا: ما نوع الشجرة التي أكل آدم منها؟
وهل حواء هي السبب في إغواء آدم؟

الإجابة عن الشبهتين اللتين صُغناهما على هيئة سؤالين مُجملة ومفصلة: أما المجملة فنقول وبالله التوفيق: لقد سكت القرآن عن ذكر نوع الشجرة؛ لأنَّه ليس فيه فائدة لنا، ولو كان فيه مصلحة لذكرها القرآن الكريم، وكذا سكت عنها الرسول والصحابة الكرام، ألا يسعنا ما وسعهم؟ واجتهد بعض أهل العلم وذكروا قولاً وجيهًا أن الله جعلها رمزًا للطاعة والمعصية وهي شجرة مثل كل الأشجار.

أما كون حواء هي التي أغوت آدم للأكل أولاً؛ فليس في القرآن ما يشير إلى ذلك مطلقًا، بل ربما أدان القرآن آدم أكثر.

أما الإجابة المفصلة فنقول وبالله التوفيق:

هذه شبهات انتقلت إلينا من أهل الكتاب وما ذُكر في بعض كتب التفسير عن اسم الشجرة بأنها الكرم أو الحنطة أو غير ذلك فهو من الإسرائيليات أمَّا موضوع المرأة واتهامها فليس في القرآن ولا في كلام أهل العلم ما يشير إلى ذلك مطلقًا بل هو قول منسوب للتوراة كتبوه بأيديهم، وقالوا هو من عند الله.

واسمحوا لي أن أنقل لكم ما جاء في التوراة في سفر التكوين حول هذا الموضوع؛ جاء في سفر التكوين في الفصل الثالث أو المزمور الثالث بعنوان «السقوط»: «وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي خلقها الرب الإله، فقالت للمرأة: أحقًا قال الله: لا تأكلا من جميع شجر الجنة؟ فقالت المرأة: «من ثمر شجر الجنة تأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا». فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، ولكن الله يعرف أنكما يوم تأكلان من ثمر تلك الشجرة تنفتح أعينكما وتصيران مثل الله تعرفان الخير والشر».

ورأت المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعين، وأنها باعثة للفهم فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت زوجها أيضًا، وكان معها فأكل فانفتحت أعينهما فعرفا أنهما عريانان فخاطا من ورق وصنعا لهما مآزر». (تكوين ٣ من ١/٧).

أخي الكريم تعرضت التوراة للحديث عن قصة آدم حديثًا طويلاً في فصلين من سفر التكوين.

ولاحظ أنَّه هنا يتكلم عن جنة عدن التي أسكنها الله آدم ويتحدث عن حية في الجنَّة جنَّة عدن فيها حيات وعقارب وثعابين، إن هذا لأمر عجاب!!

وهـذا الذي جعل شـراح التوراة يفسـرون الحية بالشـيطان، ولمـاذا لم تتحـدث التـوراة عـن الشيطان صراحة لم يأت في التوراة إشارة واحدة إلى معصيـة إبليس التي اسـتحق من الله اللعنة عليها بل انصبت اللعنة صبًا على الحيَّة وعلى المـرأة وعلـى الأرض بسـبب معصيـة آدم، وكانت عقوبة آدم أن ينزل إلى هذه الأرض الملعونة.

وهـذا يتعارض تمامًا مع ما جاء في القرآن الكريم من مغفـرة الله ورحمته لآدم، أمَّـا نزوله للأرض فهـو أمـر خلـق الله لـه آدم مـن اللحظـة الأولى فكانـت حكمـة الله العلـي الحكيـم أن يخلق آدم قبضـتـه من طين الأرض ونفخه من الملأ الأعلى (الـروح) ليصلـح لتطبيـق منهـج الله في الأرض فتتغـذى روحـه من المـلأ الأعلى ويتغـذى بدنه ممـا تُنبـت الأرض ليقيـم على الأرض حضـارة باسـم ربه الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى.

وإذا عُدنـا إلى النص التوراتي الذي أردناه نجده يجعـل مـن الحيَّـة نـدًّا لله؛ لأنها قالـت للمرأة (يقصـد حواء) كلامًـا يخالـف كلام الله، فالله سـبحانه نهاهمـا عـن الأكل مـن الشـجرة التي سـمتها التـوراة عن لسـان الحية شـجرة معرفة الخير والشر..

ولا أدري مـن أين جاء الذين كتبـوا التوراة بهذا الـكلام إلا أن يكـون الشـيطان قـد ألقـى إليهـم فكتبـوه بأيديهم وقالوا هذا من عند الله، وعلى هذا الوصـف الذي جاء ذكره على لسـان الحيَّة المزعومـة يكون من كتب التوراة قد وصـفوا الله سـبحانه وتعالى بما لا يليق وقالوا على الله عز وجل قولاً عظيمًا، وأنا أمسك القلم عن الخوض في تفاصيله وعليـك مراجعة سـفر التكوين إن شئت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما وجَّـه كتاب التـوراة الاتهام الصـريح للمرأة بأنها هي التي بدأت بالأكل ووصفت الثمرة بأنها طيبة المأكل وشهية للعين وباعثة للفهم، وفي هذا تدن خطير، وكأن الحيَّة المزعومة أصدق من الله رب العالمين، وهل يتصـور عاقـل في الأرض أو في السـماء هذا الهراء وهل رب العزة والجلال الغني عـن خلقه يحتاج أن يكذب ويخادع!! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا؟

وهـل كان آدم وحـواء عريانـين وهمـا لا يدريان حتـى إذا أكلا مـن الشـجرة عرفا ذلـك؟ ما هذا التهافت؟ وأين الخير والشـر الذي عرفاه وصَـارَا مثـل الله مـا هـذا التخبط، ولمـاذا يقع الشـر في الأرض منـذ آدم حتـى اليـوم، وإلـى أن يشـاء الله؟ لا شـك أن هذا الذي جاء في سـفر التكوين يتعارض تمامًـا مـع العقـل السـليم ومـع النقل الصـحيح، فضـلاً عـن القـرآن الكـريم كلام رب العالمين المحفوظ بحفظ الله له إلى يوم الدين.

وألقـى سـفر التكويـن اللعنة علـى الحيَّة وعلى المـرأة أي حـواء واتهمهـا بإغـواء آدم بـل وألقـى كذلـك اللعنـة على الأرض بسـبب معصـية آدم وأنا أتسـاءل ما ذنب الأرض حتى يلعنها الله؟ بل خلـق الله الأرض وبارك فيها وقـدر فيها أقواتها قبل أن يخلق آدم.

أمـا كون حواء هـي التي أغـوت آدم فهذا محض افـتراء فلم يُشـر القرآن مـن قريـب أو بعيد إلى ذلـك بـل الخطـاب جـاء بضـمير المثنـى في كل المواقف بل جاء في بعضها بإلقاء المسئولية على آدم أولاً مثل قوله تعالى: « وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ » (طه: ١٢١- ١٢٢).

ثالثًا: وكثيرًا ما يطرح البعض تساؤل كيف وسوس الشيطان لآدم؟

وكيف دخل الجنة بعد أن طرده الله منها؟

أقول: تكلف البعض وتأثر بالإسرائيليات، وقال: دخـل الشـيطان في جـوف حيَّـة، وقـال آخرون: تكلم مـن على الباب، وقال غيرهـم: دخل عابر، والله أعلم بالصواب.

ألا يكفينـا أن نقـف عند ما وقف عنـده القرآن ولا نزيـد، ألم نعلـم أن الله أعطـى للشـيطان قدرة على الوسوسـة بطرق شـتى؛ منها ما أخبر به النبي صـلى الله عليه وسـلم في الصحيحين: «إن الشـيطان يجري من ابـن آدم مجرى الدم في العروق».

أعاذنا الله وإياكم من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه، والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

الرشوة بين تغيير المسميات وتدمير المجتمعات

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

عن أبي حُميد الساعدي قال: استعمَل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني أسد يُقال له: ابن اللُّتْبِيَّة- قال عمرو وابن أبي عمر: على الصدقة- فلمَّا قدم، قال: هذا لكم، وهذا أُهْدِي لي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فحَمِد الله وأثْنَى عليه، ثم قال: «ما بال العامل نبعثه فيأتي، فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلاً جلس في بيت أبيه وأمِّه، فيَنظر أيُهْدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلاَّ جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعَر»، ثم رفَع يديه؛ حتى رأيْنا عُفْرتَي إبطَيه: «ألا هل بلَّغْت؟!» ثلاثًا.

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري (٣/٤٢٨/١٥٠٠)، ولفظه: «رجلاً من الأَسْد»، وفيه أيضًا: «فلمَّا جاء، حاسَبه»، وفي (١٣/١٧٥/٧١٧٤) باللفظ المذكور أعلاه، ومسلم (٦/١١)، وفيه: «رجلاً من الأسد»، وأبو داود (٢٩٤٦)، كلُّهم من طُرق عن ابن عُيينة، وشُعيب، ومَعْمَر عن الزُّهْري عن عُروة عن أبي حُميد الساعدي- رضي الله عنه.

المعنى العام للحديث

في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وظَّف رجلاً (صحابيًا) من بني أسد وهم بطن من بطون الأزد يجمع صدقات بني سليم اسمه عبدالله كما قال بعض الشراح، وينسب إلى أمه وهي من قبيلة لتيب، وعرف الحديث عند المحدثين منسوبًا إليه بحديث ابن اللتبية.

ولما قدم أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحاسبه فأعطاهم ما جمعه من الصدقات، لكنه أخبرهم أنه قد أهدي إليه معللاً ذلك أن الذي احتفظ به ليس من الصدقات، وإنما هو هدية أهديت إليه من هؤلاء القوم الذين ذهب للجمع منهم، فلما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، أنكره، وقام في الناس يعلمهم أن هذه الهدايا إنما جاءت إليه بسبب وظيفته وأنها سُحت ثم حذر عليه الصلاة والسلام من مثل هذا، مشددًا على أن الذي يأخذه يأتي بما أخذ يحمله يوم القيامة على رقبته ليعاقب ويفضح به، وزيادة في الفضيحة ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثلة لمن أخذ بعيرًا يأتي يحمل البعير، وهو يصدر رغاء (صوت البعير)، ولمن أخذ بقرة تصدر خوارًا ولمن أخذ شاة تيعر وهو صوتها، ثم رفع صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء رفعًا شديدًا مناجيًا ربه حتى رئي أسفل إبطيه وهو يقول «اللهم هل بلغت؟» (ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٤/٢٥٢، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ١٠/٢٤٤).

مما يستفاد من الحديث

أولاً: حرمة هدايا العمال وأنها نوع من أنواع الرشوة:

فإن الحديث وإن كان رواه البخاري في كتاب الأحكام باب: هدايا العمال وفي كتاب الهبة

وفضلها والتحريض عليها، باب من لم يقبل الهدية لعلة، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال، إلا أن العلماء يستدلون به على تحريم الرشا، وذلك على أن هذه الهدايا للعمال تعتبر نوعًا من أنواع الرشا؛ لأنها قد تبطل حقًّا أو تحق باطلاً.

وعليه فإن تغير المسمى لم يمنع الحرمة إذ «الأعمال بالنيات» كما تواتر لدى القاصي والداني، فلا يحلل الحرام ما قد يُلَبِّس به بعض المغررين في هذه الأزمنة الغابرة المتأخرة من تسمية هذه المعاملة هدية أو (محبة) أو (إكرام)، أو نحو ذلك مما يسمون، ودليل ذلك أن هذا المسئول الوالي لو ترك ولايته لما أهداه ولا أحبه ولا أكرمه الراشي بشيء، وهي آية الفصل بين الهدية والرشوة.

ويزيد الحكم وضوحًا ما قد تقرر لدى علماء الأصول من «أن العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني».

ولا شك أن هذه المعاملة هي عقد يجر نفعًا وإن لم يتلفظ طرفاه بذلك، وهذا النفع إن كان إبطالاً لحق أو إحقاقًا لباطل كان رشوة محرمة، وإن كان حقًّا لا باطل فيه فلا يحتاج إلى إهداء فما فائدته إذن؟

هذا وتحريم الرشوة ثابت بالكتاب والسنة من غير ما سبق، ولا أوضح في هذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سنن الترمذي وغيره: «لعن الله الراشي والمرتشي»، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وأم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهم أجمعين.

وزاد أحمد وغيره من حديث ثوبان لفظة « والرائش» وهو «الواسطة »، وهي زيادة منكرة؛ إذ إنها ثبتت من طريق ليث بن سليم، وهو ضعيف كما ذكر الألباني في الضعيفة (٣٨١/٣)، والواسطة لا شك أنها حرام بدونها إذ إنه تعاون على الإثم والعدوان المحرم إجماعًا.

ثانيًا: التفريق بين الرشوة والهدية:

لا شك أن الفرق بينهما شاسع والبون واسع إذ الأولى كبيرة من الكبائر؛ لأنها هبة يراد بها إحقاق باطل أو إبطال حق والثانية سنة يؤجر صاحبها عليها؛ إذ هي هبة لا مقابل لها، ولا دافع إلا ابتغاء الأجر، إذ قد حفز الشارع لها آمرًا كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «تهادوا تحابوا»، وقد أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٤)، وأصح منه في المبالغة في قبول الهدية مهما صغرت قيمتها ما رواه البخاري في كتاب النكاح باب من أجاب إلى كراع وفيه (.. ولو أهدي إلى كراع لقبلت) والكراع هو ما دون الكعب من الدابة كما شرحه الحافظ ابن حجر.

بل ومن مبالغة الشارع في أهمية الهدية أن وردت فيها من الأدلة ما يشعر بالوجوب وهو ما دعا إلى اختلاف الفقهاء في هذا الحكم، ومن ذلك ما صححه الألباني مما رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٨١/٣، رقم ٣٥٥١) عن خالد بن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من جاءه من أخيه معروف من غير إشراف ولا مسألة، فليقبله ولا يرده؛ فإنما هو رزق ساقه الله إليه».

وعليه فيُسن للمسلم قبول الهدية ويحرم عليه قبول الرشوة، وإن كانت بمسميات أخرى كما في حديث الباب.

هذا، ولا يخفى من الأدلة الأخرى الواضحة الدلالة على حرمة هدايا العمال، وما قد تؤول إليه، فمن فساد ما صححه الألباني في الإرواء من حديث أبي حميد الساعدي «هدايا العمال غلول» أي خيانة.

ثالثًا: إهدار المال العام حرام:

والحديث يدل كذلك على حرمة المال العام إذ إن الآخذ لهذه الهدية المحرمة من موظفي الدولة قد قبلها وهو مكلف بعمل عام يأخذ

مقابله أجرًا، فقبوله للهدية لا محل له فإنه أخذها أجرًا، ثانيًا فلا يحل وإن أخذها ليسهل بها عملاً فهي الرشوة سالفة الذكر، وكلاهما خيانة للأمانة، وحرمة المال العام لا ينازع فيها مسلم عاقل؛ إذ تضافرت عليها أدلة الكتاب والسنة بما لا يترك للعاقل أن يتأول، ومن ذلك: قوله-تعالى-: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (الأنفال: ٢٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حقٍّ، فلهم النار يوم القيامة». (رواه البخاري، وغيره).

رابعًا: نماذج من فهم السلف وورعهم:

وقد فهم سلفنا الصالح هذا وتورعوا عنه وعن سُبُله جميعًا، فرفع الله بذلك قدرهم وأقام بين الأنام دولتهم، فكثرهم من قلة وأعزهم من ذلة، وليس أوضح من ذلك من رفض عبدالله بن رواحة رضي الله عنه لفتنة اليهود وتعرضهم له بالرشوة من حلي نسائهم ليميل نحوهم في القسمة إذ قد أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرص بينه وبين يهود خيبر كما في الموطأ من حديث سليمان بن يسار: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى خَيْبَرَ، فَيَخْرُصُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودِ خَيْبَرَ، قَالَ: فَجَمَعُوا لَهُ حُلِيًّا مِنْ حَلْيِ نِسَائِهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا لَكَ، وَخَفِّفْ عَنَّا وَتَجَاوَزْ فِي الْقَسْمِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَاللهِ إِنَّكُمْ لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيَّ، وَمَا ذَاكَ بِحَامِلِي عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، فَأَمَّا مَا عَرَضْتُمْ مِنَ الرَّشْوَةِ، فَإِنَّهَا سُحْتٌ وَإِنَّا لَا نَأْكُلُهَا، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ «والتخريص هنا: هو تقدير المحصول.

وما أروع ما ورد عن أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين سيدنا عمر رضي الله عنه في مثل هذا مما يجعل الحليم حيران، ومنه منع عمر رضي الله عنه أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس، خوفاً من أن يحابي أهله به: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: اشْتَرَيْتُ إِبِلاً وَأَنْجَعْتُهَا إِلَى الْحِمَى، فَلَمَّا سَمِنَتْ قَدِمْتُ بِهَا، قَالَ: فَدَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السُّوقَ فَرَأَى إِبِلاً سِمَانًا فَقَالَ: « لِمَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟ » قِيلَ: لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: « يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ بَخٍ بَخٍ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَجِئْتُهُ أَسْعَى فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: « مَا هَذِهِ الْإِبِلُ؟ » قَالَ: قُلْتُ: إِبِلٌ أَنْضَاءُ اشْتَرَيْتُهَا وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى الْحِمَى أَبْتَغِي مَا يَبْتَغِي الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: فَقَالَ: «ارْعَوْا إِبِلَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، اسْقُوا إِبِلَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ اغْدُ عَلَى رَأْسِ مَالِكَ وَاجْعَلْ بَاقِيَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ» (السنن الكبرى للبيهقي: ٢٤٣/٦، ح١١٨١١).

- وغيرها كثير من ذلك ما جاء في كتاب الأموال لابن زنجويه (٥٩١/٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: شَهِدْتُ جَلُولَاءَ، فَابْتَعْتُ مِنَ الْمَغْنَمِ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ قَالَ لِي: لَوْ عُرِضْتَ عَلَى النَّارِ، فَقِيلَ لَكَ، افْدِهِ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا؟ قُلْتُ: وَاللهِ، مَا مِنْ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، إِلَّا كُنْتُ مُفْتَدِيكَ مِنْهُ، فَقَالَ: كَأَنِّي شَاهِدُ النَّاسِ حِينَ تَبَايَعُوا، فَقَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَنْتَ كَذَلِكَ، فَكَانَ أَنْ يُرَخِّصُوا عَلَيْكَ بِمِائَةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُغْلُوا عَلَيْكَ بِدِرْهَمٍ، وَإِنِّي قَاسِمٌ مَسْؤُولٌ، وَأَنَا مُعْطِيكَ أَكْثَرَ مَا رَبِحَ تَاجِرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، لَكَ رِبْحُ الدِّرْهَمِ دِرْهَمًا، قَالَ: ثُمَّ دَعَا التُّجَّارَ فَابْتَاعُوهُ مِنْهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَبَعَثَ بِالْبَقِيَّةِ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ: «اقْسِمْهُ فِي الَّذِينَ شَهِدُوا الْوَقْعَةَ، وَمَنْ كَانَ مَاتَ مِنْهُمْ فَادْفَعْهُ إِلَى وَرَثَتِهِ» (وأصله في مصنف ابن أبي شيبة ٥٥٦/٦ ح ٣٣٧٧٩)، والحمد لله رب العالمين.

من أمثلة الشرك بالله

إعداد/ د/عبد الحكيم حسام الدين

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: قد قال الله في كتابه الكريم بعد ذكره لثمانية عشر رسولا: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ٨٨).

وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات يدعو من دون الله ندًا دخل النار". فقال ابن مسعود: فقلت أنا: ومن مات لا يدعو لله ندًا دخل الجنة.

ومن صور الشرك بالله:

١- تعليق التمائم والتعاويذ والخرز ونجمة البحر في وسائل المواصلات والبيوت، عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد. فقالوا : يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: «إن عليه تميمة ، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: من علق تميمة فقد أشرك». رواه أحمد (١٦٩٦٩) ، والحديث صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٢) .

٢- مطالعة باب حظك اليوم، وأنت والنجوم وقد قال الله: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) (الأنعام: ٥٩).

٣- طلب المدد من غير الله مثل قول: مدد مدد يا رسول الله، أو مدد يا بدوي، والله تعالى قال: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) (نوح١٠-١٢).

٤- الحلف بغير الله وإن كان صادقًا؛ مثل قول: والنبي، والكعبة، بالذمة، بالأمانة، وحياة أبي، وحياة أمي، ورحمة أبي، والعيش والملح، علي الطلاق، عليَّ الحرام من ديني، والنعمة، عليَّ النعمة، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا" مصنف عبد الرزاق.

٥- الاستغاثة بغير الله مثل قول الشاعر مستغيثًا بالنبي صلى الله عليه وسلم: (أغثني أجرني، ضاع عمري، إلى متى بأثقال أوزاري..)؛ فهو يشكو للنبي صلى الله عليه وسلم أنه محمَّل ومبتلى بأوزاره التي أضاعت عمره، فهو يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم المعونة، وهذا كفر وشرك بالله، قال الله: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) (الأحقاف: ٥).

٦- الاستعانة بغير الله كقول شاعرة معاصرة في قصيدتها (بردة الرسول) للنبي: (يا سيدي اسمع دعائي كن معيني.. وأجب رجائي يا محمدا الأمين)، والله يقول على لسان المؤمنين (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥).

أحد الناس علق صورة شيخ فحينما سئل عنه قال: هو شيخ عظيم صاحب طريقة كذا، فقيل: افترض أنه شيخ عظيم كما قلت، فلم علقت صورته؟ قال: "حينما أهم بمعصية أنظر إليه فأستحي أن أفعل المعصية"، والنبي قال صلى الله عليه وسلم: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه مسلم.

أحد الناس دخل على ضريح السيدة زينب فما لبث أن سجد للضريح، فلما سُئل حارس الضريح قال: من المؤكد أنه فعل ذلك لذنب كبير فعله، والله يقول على لسان الهدهد: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) (النمل: ٢٥).

٧- التشاؤم بالأرقام والأشخاص والأيام والشهور، إحدى الفتيات قال لها والدها: اذهبي للمدرسة اليوم فقالت: أنا متشائمة من هذا اليوم، ورجل يقول لآخر: وجهك نحس، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الطيرة شرك ثلاثا) رواه أبو داود عن ابن مسعود.

٨- شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة؛ مثل شدها إلى مسجد السيد البدوي والحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والدسوقي والقناوي، وخطاب أمواتها والبكاء عندها والخشوع لأصحابها والنذر والذبح لهم، علما بأن الصلاة في هذه المساجد مكروهة سدًا لذريعة الشرك، والله يقول: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) (الإسراء ٥٧)، فهؤلاء الصالحون الذين يدعونهم هم في الأصل يتعبدون لله.

وبإذن الله نستأنف مظاهر أخرى للشرك بالله وصلَ اللهم وسلم على الرسول وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

الحلقة (٥٤)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٤٩٣- «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ لَقَدِ اسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِإِسْلَامِ عُمَرَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح١٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤/٣) من حديث عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن عبد الله بن عباس مرفوعًا، وقال الحاكم: «صحيح»، فتعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص» وقال: عبد الله ضعفه الدارقطني. اهـ.

قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٨٠/١/٣): «عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب، منكر الحديث». اهـ.

وهذا المصطلح عند الإمام البخاري بالاستقراء يدل على الضعف الشديد؛ حيث قال محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «وكذلك قول البخاري: منكر الحديث؛ فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (٥/١) نقل ابن القطان أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: «منكر الحديث» فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

٤٩٤- « يَا أَبَا ذَرٍّ النَّهارُ اثنتا عشْرَة ساعةً، فأَعِدَّ لكُلِّ ساعةٍ منها رَكْعَتينِ وسَجْدَتين تَدْرَأ عنك ما فيها».

الحديث لا يصح: أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٧٩٧/٢٤٣/٢) من حديث أبي ذر مرفوعًا، وعلته عبد الله بن خراش بن حوشب، وهو متروك، ضعيف جدًّا، ليس بشيء، يضع الحديث، ذاهب الحديث كذاب كما بينا آنفًا، ثم قال الحافظ العقيلي: «أحاديث كلها غير محفوظة ولا يتابع عليها». اهـ.

٤٩٥- «مَن دعا النَّاسَ إلى قولٍ أو عملٍ ولم يعملْ هُو به؛ لم يَزَلْ في سَخَطِ اللهِ حتى يكفَّ أو يعملَ بما قال أو دعا إليه».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (ح٣٩١٩)، والحافظ أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢) من حديث عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن المسيب بن رافع عن ابن عمر مرفوعًا، وعلته عبد الله بن خراش بن حوشب، وهو متروك ضعيف الحديث جدًّا، ليس

بشيء، يضع الحديث، ذاهب الحديث كذَّاب كما بينا آنفًا، وضعفه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (البقرة: ٤٤).

٤٩٦- «إنَّ أكثرَ صياحِ أهلِ النارِ من التَّسْويفِ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في الإحياء (١٢/٤)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا حديث لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤٩٧- « مَا أُصِيبَ عَبْدٌ بَعْدَ ذَهَابِ دِينِهِ بِأَشَدَّ مِنْ ذَهَابِ بَصَرِهِ، وَمَا ذَهَبَ بَصَرُ عَبْدٍ فَصَبَرَ إِلاَّ دَخَلَ الجَنَّةَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٦٥/٣٩٤/١) من حديث جابر عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعًا، وعلته جابر بن يزيد الجعفي، قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٩٨): «جابر بن يزيد الجعفي متروك». اهـ. قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤٩٨- " الزهدُ والورعُ يجولان في القلوب كل ليلة؛ فإن صادفا قلبًا فيه الإيمانُ والحياءُ أقاما فيه، وإلا ارتحلا".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٢٥/٤)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا حديث لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤٩٩- " أنا أقاتِلُ على تنزيل القرآن، وعَليٌّ يقاتِلُ على تأويله".

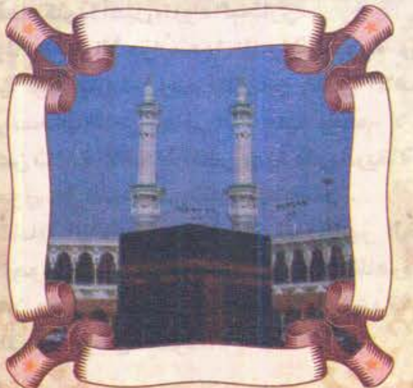
الحديث لا يصح: أخرجه ابن السكن في «الصحابة» من طريق الحارث بن حصيرة عن جابر الجعفي، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن الأخضر بن أبي الأخضر عن النبي صلى الله عليه وسلم به، وقال: «الأخضر غير مشهور في الصحابة، وفي إسناده نظر». كذا في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥٩/٣٧/١) للحافظ ابن حجر، وقال: «وأشار الدارقطني إلى أن جابر تفرد به، وجابر رافضي». اهـ.

قلتُ: والحديث أورده الحافظ أبو الفضل المقدسي في «أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني» (٦٢٦/٤٠٢/١)، وقال: «غريب من حديث الأخضر عن النبي صلى الله عليه وسلم، تفرد به محمد بن كثير الكرخي عن الحارث عن جابر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عنه».

قلت: وآفته جابر الجعفي رافضي كذاب متروك؛ كما بينا آنفًا.

فقه الابتلاء

إعداد/ د. ماهر بن حمد المعيقلي
إمام المسجد الحرام



الحمدُ لله، الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا فيه كما يُحبُّ ربُّنا ويرضَى، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له عظيمٌ في ربوبيَّته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، حكيمٌ في مقاديره وأحكامه، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ابتُلِيَ بالسرَّاء فشكَر، وبالضرَّاء فصَبَر، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم لقائه.

أما بعدُ.. معاشر المؤمنين: فاتَّقُوا الله حقَّ التقوَى، واستمسكُوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الحديد: ٢٨).

أمةَ الإسلام: لم يجعَل الله تعالى مقرًّا دائمًا لعباده، ولا دارَ نعيم لأوليائه، ولكنه أرادَها بحكمَته دارَ ابتلاءٍ واختبار، يُمحِّصُ عبادَه فيها بالبلايا، ويختبرهم بالمِحَن والرَّزايا، (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: ٣٥).

وما من مُؤمن بالله واليوم الآخر إلا كان له نصيبٌ من الابتلاء، كما أخبرَ بذلك ربُّ الأرض والسماء، فقال- جلَّ جلاله، وتقدَّسَت أسماؤه-: (أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ) (العنكبوت: ٢، ٣).

الابتلاءُ في حياة الأنبياء:

الابتلاءُ يكون على قَدر العطاء؛ فعن سعد بن أبي وقَّاص- رضي الله عنه- قال: قُلتُ: يا رسولَ الله! أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياءُ، ثم الأمثَلُ فالأمثَل، فيُبتَلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان دينُه صُلبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّة ابتُلِيَ على حسب دينه، فما يبرَحُ البلاءُ بالعبد حتى يترُكَه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (رواه الترمذي، وقال: «هذا حديث حسنٌ صحيحٌ»).

فلذا كان الأنبياءُ- عليهم السلام- مع ما هم فيه من البلاء- أشرَحَ الناس صدرًا، وأكثَرهم تفاؤُلاً:

فخليلُ ربِّ العالمين إبراهيم- عليه السلام- لما أُلقيَ في النار قال: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

وهذا كليمُ الله موسى- عليه السلام- حُصِرَ مع قومه بين بحرٍ مُتلاطمٍ وعدوٍّ غاشم، فقال أصحابُه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء: ٦١، ٦٢).

ولما فقَدَ يعقوبُ- عليه السلام- أحبَّ أبنائه إليه قال: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف: ٨٧).

ابتلاء النبي صلى الله عليه وسلم:

وأما نبيُّنا- صلواتُ ربي وسلامُه عليه- فقد لقيَ من البلاء ما لقي؛ آذاه قومُه وطرَدُوه من بلده، وتآمَرُوا على قتله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠)، فكان- صلى الله عليه وسلم- أجملَ الناس صبرًا، وأحسنَهم بالله ظنًّا.

وفي معركة أحُد كُسِرَت رَباعيتُه، وجُرِحَ وجهُه، وشُجَّ رأسُه، فلم تزَل دماؤُه الزكيَّة تسيل على وجهه الطاهر، فجعلَ يسلُتُ الدمَ عنه ويقول: «كيف يُفلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهم؟!»، وكسَروا رباعيته وهو يدعُوهم إلى الله. (متفق عليه).

وأُصيبَ- صلى الله عليه وسلم- يوم أُحُد في أصحابه، وفي أعزِّ الناس عليه وأقرَبِهم إلى قلبه؛ عمِّه حمزةَ- رضي الله عنه وأرضاه- وقد بُقِرَ بطنُه، وجُدِعَ أنفُه ومُثِّل به، فدُفِن في سَفحِ الجبل مع سبعين رجُلاً من خيرَة أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم-.

حتى تمنَّى- صلى الله عليه وسلم- أن لو كان شهيدًا يوم ذاك معهم؛ ففي «مسند الإمام أحمد» بسند حسن، أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «أمَا والله لَوددتُ أني غُودرتُ مع أصحابي بحضنِ الجبَل».

بَيْدَ أن التسليمَ لله لم يلبَث هذه الأحزانَ العارضَة، وعادَ- صلى الله عليه وسلم- يتفقَّدُ أصحابَه ويُخفِّفُ مُصابَهم، ويُظهِرُ الرِّضا لقضاء الله وقدَره فيما أصابَهم.

ففي «مسند الإمام أحمد» وغيره بسند صحيح، أن رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- لما فرَغَ من دَفنِ الشهداء يوم أُحُد قال لأصحابه: «استَوُوا حتى أُثنيَ على ربِّي»، فصارُوا خلفَه صُفوفًا، فوقفَ طويلاً يُثني على الله تعالى بما هو أهلُه.

وكان مما قال- عليه الصلاة والسلام-: «اللهم لك الحمدُ كلُّه، اللهم لا قابضَ لما بسطتَ، ولا باسطَ لما قبضتَ، ولا هاديَ لمن أضللتَ، ولا مُضلَّ لمن هدَيتَ، ولا مُعطيَ لما منَعتَ، ولا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُقرِّبَ لما باعدتَ، ولا مُباعدَ لما قرَّبتَ، اللهم ابسُط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك».

وفي السنة الخامسة من الهجرة النبوية اجتمَعَ الأحزابُ لقتال النبي- صلى الله عليه وسلم-، فجاؤُوا من كل صَوبٍ وحدَب، والنبيُّ- صلى الله عليه وسلم- صابرٌ مُحتسِبٌ مع شدَّة الأمر والكرب.

ففي «صحيح البخاري»، عن البراء- رضي الله عنه- قال: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- ينقُل الترابَ يوم الخندَق حتى اغبَرَّ بطنُه يقول: «والله لولا الله ما اهتَدينا، ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا، فأنزِلَنْ سكينةً علينا، وثبِّت الأقدامَ إن لاقَينا، إن الأُلَى قد بغَوا علينا، إذا أرادُوا فتنةً أبَينا»، ورفعَ بها صوتَه: «أبَينا، أبَينا».

وبينما هم كذلك في حفرهم للخندَق، وقد مكَثُوا في حفره نصفَ شهر، أنهكَهم الجوعُ فيها وأرهقَهم السهرُ؛ إذ عرضَت لهم صخرةٌ شديدةٌ كسَرَت معاولَهم، وأوهَنَت قُواهم.

يصفُ ذلك الحالَ جابرٌ- رضي الله عنه- بقوله: «إنَا يوم الخندَق نحفرُ، فعرَضَت كُديةٌ شديدةٌ» أي: صخرة، «فجاؤُوا النبيَّ- صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: هذه كُديةٌ عرَضَت في الخندَق، فقال: «أنا نازلٌ»، ثم قام وبطنُه معصُوبٌ بحجَر- أي: من الجُوع-، ولبِثنَا ثلاثةَ أيام لا نذُوقُ ذواقًا.

فأخذَ النبي- صلى الله عليه وسلم- المِعوَلَ فضرَبَ، فعادَ كثيبًا أهيَل»؛ رواه البخاري.

ولما اجتمعَ الأحزابُ حول المدينة النبوية- وكان ذلك في ليالٍ باردة-، وهم أكثرُ من عشرة آلاف مُقاتِل، وأصحابُ النبي- صلى الله عليه وسلم- لا يزيدُون عن ثلاثة آلاف؛ إذ نقَضَ يهودُ بني قُريظةَ عهدَهم مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

فضاقَ الخَطبُ، واشتدَّ الكربُ، وظهرَ الخوفُ مع الجُوع والبرد، وانقطعَت الأسبابُ الظاهرةُ للنصر؛ فلا عددَ ولا عُدَّة، فكانت شدَّةٌ وأيُّ شدَّة؟! وصفَها الله- عز وجل- بقوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (الأحزاب: ١٠، ١١).

ومع ذلك كله كان- صلى الله عليه وسلم- يُبشِّرُ أصحابَه بموعودِ ربِّهم، وتفريجِ كربِهم، وهلاكِ عدوِّهم.

ففي «السنن الكبرى» للبيهقي: لما اشتدَّ البلاءُ على النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، نافقَ ناسٌ كثيرٌ، وتكلَّموا بكلام قبيح، فلما رأى رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- ما فيه الناسُ من البلاء والكرب، جعل يُبشِّرهم ويقول: «والذي نفسي بيده؛ ليُفرِّجنَّ عنكم ما ترونَ من الشدَّة والبلاء، فإني لأرجو أن أطوفَ بالبيت العتيق آمنًا، وأن يدفعَ الله- عز وجل- مفاتحَ الكعبة، وليُهلكنَّ اللهُ كسرى وقيصر، ولتنفقنَّ كنوزَهما في سبيل الله».

وما انفرجَت الكروبُ- يا عباد الله- إلا بالتوحيد؛ فقد كان- صلى الله عليه وسلم- حالَ حصارهم يُكثِر من قول: «لا إله إلا الله وحده، أعزَّ جُندَه، ونصَرَ عبدَه، وغلبَ الأحزابَ وحدَه، فلا شيءَ بعدَه» (رواه البخاري ومسلم).

وأما المُنافِقون والذين في قلوبهم مرضٌ فحالُهم كما هو في كل زمانٍ ومكانٍ، يُرجِفون ويُخذِّلون؛ لينشُروا الخوفَ والضعفَ في صفوفِ المؤمنين، فكان بعضُهم يقول: يعِدُنا محمدٌ كنوزَ كسرى وقيصر، وأحدُنا لا يأمَنُ أن يذهبَ إلى حاجته!

بل أخذ بعضُهم يستأذنُ النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- بالرُّجوع إلى الدُّور ويقول: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب: ١٣)، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٢).

وأما المؤمنون الصادقون فإنهم لا يفقدُون صلتَهم بربِّهم، وثقتَهم بخالقهم، مهما أُصيبُوا في سبيل الله؛ فالصحابةُ- رضي الله عنهم وأرضاهم- أحسَنُوا الظنَّ بالله فثبَتُوا، وتوكَّلوا عليه فنُصِرُوا.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: «غزوةُ الأحزاب نصَرَ اللهُ فيها عبدَه، وأعزَّ فيها جُندَه بغير قتال؛ بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوِّهم، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢).

أهمية حُسن الظنِّ بالله:

معاشر المؤمنين: إن حُسنَ الظنِّ بالله عبادةٌ قلبيَّةٌ جليلةٌ لا يتمُّ إيمانُ العبد إلا بها، وهو ما تقتضيه أسماءُ الله الحُسنى وصفاتُه العُلى، ومن أحسَنَ ظنَّه بالله آتاه اللهُ إياه؛ ففي الحديث المُتَّفق على صحَّته: «يقولُ الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي»، قال عبدُ الله بن مسعود- رضي الله عنه-: «والله الذي لا إله غيرُه؛ ما أُعطِيَ عبدٌ مؤمنٌ شيئًا خيرٌ من حُسن الظنِّ بالله، والذي لا إله غيرُه؛ لا يُحسِنُ عبدٌ باللهِ- عزَّ وجل- الظنَّ إلا أعطاه الله- عزَّ وجل- ظنَّه؛ ذلك بأن الخيرَ في يده».

ولئن كانت الحاجةُ إلى حُسن الظنِّ بالله مطلبًا في كل الأحوال، فإنها حالَ المصائب والشدائد تعظُمُ الحاجةُ وتتأكَّد.

ففي «صحيح البخاري»، عن خبَّاب بن الأرَتِّ- رضي الله عنه- قال: شكَونا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو مُتوسِّدٌ بُردةً له في ظل الكعبة-، فقُلنا: ألا تستنصِرُ لنا؟ ألا تدعُو لنا؟ فقال: «قد كان من كان قبلَكم يُؤخذُ الرجُلُ فيُحفَرُ له في الأرض فيُجعَلُ فيها، فيُجاءُ بالمنشار فيُوضَعُ على رأسه، فيُجعَلُ نصفَين، ويُمشَطُ بأمشاط الحديد ما دُون لحمه وعظمه فما يصُدُّه ذلك عن دينه، والله ليتمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضر موت لا يخافُ إلا اللهَ والذئبَ على غنَمِه، ولكنَّكم تستعجِلُون».

وفي تاريخ أمَّتنا الطويل أحداثٌ جِسام، وواقعاتٌ عظام، كشَفَها الله تعالى بالتوبة إليه والرُّجوع إلى كتابه وسُنَّة رسوله- صلى الله عليه وسلم-، في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١).

والمؤمنُ- يا عباد الله- قد يشتَدُّ عليه الكربُ والخَطبُ، وتُحيطُ به الفتنُ والمحَن، ويُخيِّمُ عليه الهمُّ والغمُّ، ولكنَّه مُؤمِّلٌ في ربِّه، واثقٌ بنصره، مُستبشِرٌ بتأييده، مُترقِّبٌ لفرَجِه وكرَمِه، آخذٌ بأسبابِ النصر والتمكين كما أمرَه.

أمة الإسلام: إن ما يحدُثُ في بلاد المُسلمين اليوم يُوجِبُ عليهم أن يقفُوا بكل حزمٍ وعزمٍ أمام كل ما يُهدِّدُ استقرارَهم، أو يعتدي على مُقدَّساتهم، أو يُسبِّبُ الفُرقةَ بينهم.

وما أحوجَ المُسلمين اليوم إلى التعاضُد مع قادتهم وولاة أمرهم؛ لتجتمعَ كلمتُهم، ويقفُوا صفًّا واحدًا أمامَ عدوِّهم، وصدَقَ الله إذ يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

والحمد لله رب العالمين.

اللقطة واللقيط
آداب وأحكام

الحلقة الثانية

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك علي محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فقد تناولنا في المقال السابق تحت هذا العنوان:

- تعريف اللقطة لغة، واصطلاحًا.

- أنواع اللقطة. وها نحن نعود للحديث عن آداب وأحكام اللقطة واللقيط، وسوف نتناول في هذا العدد بإذن الله -تعالى-:

إعداد/ محمد عبد العزيز السيد

- الحكم التكليفي المتعلق بالالتقاط.
- حكم تعريف اللقطة.

الحكم التكليفي المتعلق بالالتقاط:

يختلف الحكم التكليفي المتعلق بالالتقاط باختلاف المكلفين، ويمكننا أن نقسمهم في هذا الباب إلى قسمين إجمالاً:

الأول: المكلف الأمين، الذي يعلم من نفسه القوة على:

- حفظ اللقطة.
- وتعريفها في مكان وجدانها.

فهذا يستحب له الالتقاط، إن خشي على اللقطة الضيعة، حفظًا لمال أخيه، ويدل على هذا الأدلة العامة للتشريع فمن ذلك قول الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) (المائدة: ٢).

وإن لم يخش على اللقطة الضيعة؛ أبيح له التقاطها وتعريفها، ولم يستحب؛ لأنه تكليف للنفس بغير ضرورة، ولا حاجة.

وإن تيقن أنه لو تركها ضاعت على صاحبها، لعلمه بعدم وجود يد أمينة غيره؛ وجب عليه التقاطها؛ لأن حفظ المال واجب، وهو كلي من كليات الشريعة.

الآخر: المكلف الذي يعلم من نفسه الخيانة، وضعف الأمانة، ويعلم أنه إذا التقطها، فإنما يلتقطها لنفسه لا ليحفظها على صاحبها، فهذا يحرم عليه التقاطها، لحديث زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من آوى ضالة فهو ضال، ما لم يعرفها». رواه مسلم (١٧٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٠٦).

- فإن لم يعلم من نفسه الخيانة، ولا ظنها، لكن خشي على نفسه مستقبلاً أن يطمع فيها، أو يقصر في تعريفها كره له التقاطها.

وهل يجب الإشهاد على الالتقاط؟

اختلف في ذلك أهل العلم على مذهبين:

- فذهب الحنفية في ظاهر المذهب إلى وجوب تعريف اللقطة، وهو أحد قولي الشافعي، لحديث عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ وجد لُقَطَةً فلْيُشهدْ ذا عدل- أو ذوي عدل - ولا يكتُم، ولا يُغيِّبْ، فإن وَجَد صاحبَها فليرُدَّها عليه، وإلا فهو مالُ الله يؤتيه مَنْ يشاءُ». رواه أبو داود (١٧٠٩)، وابن ماجه (٢٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥٧٧٦) و(٥٧٧٧).

والأمـر في قـولـه- صلّى الله عليه وسـلـم-: « فليشهد » للوجوب ما لم يصرفه عنه صارف، ولا يوجد له صارف ناهض.

- وذهب الجمهور إلى استحباب تعريف اللقطة لا إلى وجوبها، وحملوا الأمر بالإشهاد في الحديث على الندب؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - أمر زيد بن خالد الجهني، وأبي بن كعب - رضي الله عنهما - وغيرهما بتعريف اللقطة، ولم يأمرهم بالإشهاد على ذلك، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

قال البغوي في شرح السنة (٣١٥/٨): «وهذا أمر تأديب وإرشاد، وذلك لمعنيين:

أحدهما: ما لا يؤمن أن يحمله الشيطان على إمساكها، وترك أداء الأمانة فيها.

والثاني: ربما تخترمه المنية، فتحوزها ورثته في جملة التركة.

وقد قيل: الإشهاد واجب». وانظر معالم السنن للخطابي (٩٠/٢).

قال في عون المعبود (١١٤/٤): « وقال الأولون: هذه الزيادة بعد صحتها يجب العمل بها فيجب الإشهاد، ولا ينافي ذلك عدم ذكره من الأحاديث. والحق وجوب الإشهاد ».

وهل يد الملتقط أمينة أم ضامنة؟

ويـد الملتقط: يد أمينة لا تضمن الأمـانـة إلا بالتفريط، فـإن تلفت بغير تفريط منه لم يضمنها، وإن فرط فيها ضمنها.

وما الحكم إن ردَّ اللقطة إلى مكانها بعد التقاطها؛ فتلفت، أو ضاعت على صاحبها؟

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

الأول: أنه إن ردها مكانها بعد التقاطها فضاعت، أو تلفت ضمنها، لأنـه بالتقاطها يجب عليه إيصالها إلى صاحبها على قدر الوسع والطاقة، فإن فرط في ذلك تعين عليه الضمان.

الآخـر: أنـه إن ردهـا مكانها بعد التقاطها فضاعت، أو تلفت لم يضمنها؛ لأنه إنما أخذها على وجه التبرع والإرفاق، فإن ردَّها فقد فسخ عقد التبرع، فصار كأن لم يأخذها، هذا إذا كان قد أشهد على التقاطها، أو صدَّقه المالك، وهو ظاهر مذهب الحنفية.

والصحيح المذهب الأول لصحة ما عللوا به.

حكم تعريف اللقطة:

أما تعريف اللقطة ذات القيمة التي يطلبها أصحابها ويبحثوا عنها إذا فقدوها، فحكمه الوجوب، ويكون ذلك في مكان وجدانها، وعلى رؤوس الأشهاد، وفي مجامع الناس في الأسواق، وعلى أبـواب المساجد، ونحو هـذا؛ لأنـه هو الوسيلة إلى ردِّها إلى صاحبها، وينبغي أن يذكر شيئًا من صفتها ليتنبه صاحبها، ولا يمعن في ذكر الأوصاف فيتنبه أهل الخيانة فَيَدَّعُونَها.

ولا يكون ذلك في المساجد؛ لأنها لم تبن لهذا، لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد، فليقل لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا» رواه مسلم (٥٦٨).

وهل استخدام مكبرات صوت المساجد، لإيصال الصوت خارج المسجد لا داخلها تدخل في حكم إنشاد الضالة في المساجد؟

الظاهر - عندي - أنها لا تدخل، ولا كراهة في ذلك إذا اشتدت الحاجة لمثله، ولم يكن ثَمَّ وسيلة أخرى.

ومدة تعريف اللقطة ذات القيمة حول كامل لحديث زيد بن خالد بن زيد الجهني صاحب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «سئل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن اللقطة الذهب أو الورق؟ فقال: اعرف وكاءها، وعفاصها، ثم عرِّفها سنة، فإن لم تعرف فاستنفقها، ولتكن وديعة عندك، فإن جاء طالبها يومًا من الدهر فأدها إليـه». رواه البخاري (٢٣٧٢)، ومسلم (١٧٢٢).

الوكاء: بكسر الواو الخيط الذي تشد به الصرة أو الكيس.

العفاص: بكسر العين ، الوعاء الذي تكون فيه النفقة جلداً كان أو غيره.

هذا وللحديث بقية

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد وبين الزوجين

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فما يزال الحديث متصلاً عن بعض الأمور التربوية التي ينبغي للوالدين مراعاتها لتكوين علاقة جيدة مع أبنائهم، ومن ذلك:

١١- إشباع عواطفهم؛ فمما ينبغي مراعاته مع الأولاد إشباع عواطفهم، وإشعارهم بالعطف والرحمة والحنان؛ حتى لا يعيشوا محرومين من ذلك، فيبحثوا عنه خارج المنزل؛ فالكلمة الطيبة واللمسة الحانية والبسمة الصادقة وما جرى مجرى ذلك له أثره البالغ في نفوس الأولاد.

١٢- النفقة عليهم بالمعروف، وذلك بكفايتهم والقيام على حوائجهم؛ حتى لا يضطروا إلى البحث عن المال خارج المنزل.

١٣- إشاعة الإيثار بينهم: وذلك بتقوية روح التعاون بينهم، وتثبيت أواصر المحبة فيهم، وتعويدهم على السخاء، والشعور بالآخرين؛ حتى لا ينشأ الواحد منهم مغاليًا في حب ذاته، ولا هم له إلا خاصة نفسه. ثم إن تربيتهم على تلك الخلال تقضي على كثير من المشكلات التي تحدث داخل البيوت.

١٤- الإصغاء إليهم إذا تحدثوا، وإشعارهم بأهمية كلامهم؛ بدلاً من الانشغال عنهم، والإشاحة بالوجه، وترك الإنصات لهم.

فالذي يجدر بالوالد إذا تحدث ولده- خصوصًا الصغير- أن يصغي له تمامًا، وأن يبدي اهتمامه بحديثه، كأن تظهر علامات التعجب على وجهه، أو يبدي بعض الأصوات أو الحركات التي تدل على الإصغاء والاهتمام والإعجاب، كأن يقول: رائع، حسن، صحيح، أو أن يقوم بالهمهمة، وتحريك الرأس وتصويبه، وتصعيده، أو أن يجيب على أسئلته أو غير ذلك، فمثل هذا العمل له آثار إيجابية كثيرة منها:

أ- أن هذا العمل يعلّم الولد الطلاقة في الكلام.

ب- يساعده على ترتيب أفكاره وتسلسلها.

ج- يدربه على الإصغاء وفهم ما يسمعه من الآخرين.

د- أنه ينمّي شخصية الولد، ويصقلها.

هـ- يقوّي ذاكرته، ويعينه على استرجاع ما مضى.

و- يزيده قربًا من والده.

هذه بعض الأساليب التي تنهض بالمشاعر، وترهف

الأذواق لدى الأولاد، وحول فقر المشاعر في الحياة الزوجية، فهذا ما نتحدث عنه الآن:

فقر المشاعر في الحياة الزوجية

فمن البيوت ما يخيّم عليها الصمت المطبق، ويسودها السكون الموحش، فلا تأنس الزوجة فيها بحديث زوجها، ولا هو يأنس بحديثها، ولا يسمع أحدهما من الآخر كلمة عطف أو حنان، أو رحمة.

ومن الأزواج من يكثر لوم زوجته، وانتقادها عند كل صغيرة وكبيرة؛ فتراه ينتقد الطعام التي تعده الزوجة، وتراه يعاقبها إذا بكى أولاده الصغار، أو كثر عبثهم، وتراه يبالغ في تأنيبها إذا نسيت أو قصرت في أي شأن من شئونه.

وأقبح ما في ذلك أن يعنفها فيما لا قدرة لها عليه، كأن يلومها إذا كانت لا تنجب، أو لا تنجب إلا بنين فحسب، أو بنات فحسب، ويلومها إذا أنجبت ولدًا مصابًا ببعض العيوب الخلقية، فيجمع بذلك بين ألمها في نفسها وبين إساءته البالغة التي تقض مضجعها، وتؤرق جفنها.

وما هذا بمسلك العقلاء، ذلك أن كثرة اللوم لا تصدر عن ذي خلق كريم أو طبع سليم؛ ثم إن ذلك يورث النفرة، ويوجب الرهبة.

فدع العتاب فرب شرٍ

هاج أوله العتاب

فالزوج العاقل الكريم لا يعاتب زوجته عند أدنى هفوة، ولا يؤاخذها بأول زلة.

بل يلتمس لها المعاذير، ويحملها على أحسن المحامل.

وإن كان هناك ما يستوجب العتاب عاتبها عتابًا لينًا رقيقًا تدرك به خطأها دون أن يهدر كرامتها، أو ينسى جميلها.

ثم ما أحسن أن يتغاضى المرء ويتغافل، فذلك من دلائل سمو النفس وشفافيتها أو أريحيتها، كما أنه مما يعلي المنزلة، ويريح من الغضب وآثاره المدمرة.

وإن أتت المرأة ما يوجب العتاب فلا يحسن بالزوج أن يكرر العتاب، وينكأ الجراح مرة بعد مرة؛ لأن ذلك يُفضي إلى البُغض، وقد لا يُبقي للمودة عينًا ولا أثرًا. ومما يعين الزوج على سلوك طريق الاعتدال في عتاب الزوجة أن يوطن نفسه على أنه لن يجد من زوجته كل ما يريد، كما أنها لن تجد فيه كل ما تريد؛ فلا يحسن به- والحالة هذه- أن يُعاتب في كل الأمور، وأن يتعقب كل صغيرة وكبيرة، فأي الرجال المهذب؟ ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها؟ ثم إن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من كثير من عيوبه؛ فعلام نُحمّل الآخرين فوق ما يطيقون، ونحن عن تلافي كثير من عيوبنا عاجزون؟

ولا يعني ما مضى أن يتساهل الزوج في تقصير الزوجة في الأمور المهمة نحو القيام بالواجبات الدينية، أو رعاية الآداب المرعية، أو التزام ما تقضي به الصيانة والعفة؛ فهذه أمور يجب أن توضع على رأس الأشياء التي لا يقبل التنازل عنها بحال.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خُلقت من ضلع، وأن أعوج ما في الضلع أعلاه». (متفق عليه).

فالحديث الشريف يعلم الرجل كيف يسلك في سياسة الزوجة طريق الرفق والأناة؛ فلا يشتد ويبالغ في ردها عن بعض آرائها التي بها عوج؛ فإن ذلك قد يفضي إلى الفراق.

كما أنه لا يتركها وشأنها؛ فإن الإغضاء عن العوج مدعاة لاستمراره أو تزايده.

والعوج المستمر أو المتزايد قد يكون شؤمًا على المعاشرة، فتصير إلى عاقبة مكروهة.

وبعد ذلك فقد يقع من الزوج شدة في العتاب، أو إسراف في اللوم، فيحسن به إذا وقع منه ذلك أن يبادر إلى الاعتذار، أو الهدية، وإظهار الأسف، والاعتراف بالخطأ دون أن تأخذه العزة بالإثم؛ فما هو إلا بشر، وما كان لبشر أن يدعي أنه لم يقل إلا صوابًا.

فإذا أخذ الزوج بهذه الطريقة قلّ عتابه، وأراح نفسه، وسما بخلقه، وحافظ على مشاعره.

قال ابن حبان رحمه الله: «من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء». (روضة العقلاء لابن حبان ص٧٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا، ويبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفكر الإسلامي

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

دار حوار بيني وبين أحد المفكرين من الكبار- على حسب ما عرَّفني بنفسه- في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.

وبدأ الحديث بعد أن عرَّفني أنه من المفكرين الكبار- على حد قوله- في الفكر الإسلامي، حول حجية السنة النبوية، فقال:

أنا لا أعتقد بأنها حجة؟!

فقلت: حكمك على السنة يُعتبر فكرًا؟ أم يُعتبر نتيجة للفكر؟!

فقال: وما الفارق؟

قلت: كبير؟!

فسألته: ما الفكر؟

فقال: دوران الشيء بين القبول والرفض.

قلتُ: ممتاز.

ثم قلتُ: وهل ينطبق هذا على كون السنة ليست حجة؟!

فغضب غضبًا شديدًا وانصرف.. وكنت أتمنى قبل انصرافه أن أسأله: لماذا تضيقون ذرعًا بمن يفكِّر على مذهبكم؟

فالسنة عندنا حجة لا مجال فيها للتشكيك.

ولسرعان ما رجعت لأصل كلامي، وأن هذه المقالة تحت عنوان أين يقع الفكر؟ كما وعدت في مقالتي السابقة.

وهذا السؤال يمكن أن نسأله بطريقة أخرى: ما المساحة التي يترك للإنسان أن يفكر فيها؟ وأقصد بالمساحة: أي الموجودة في الشريعة الإسلامية؟ فهل الفكر في أيّ شيء في الشرع؟ أم يعتمد على أمور دون أخرى؟

والسؤال الذي لا بد أن يكون: هل يجوز الفكر في الثوابت؟!

هنا يجب أن نقف قليلاً..

لأن بعض مُدّعي الفكر يظنون أن الفكر في أيّ مساحة من الشريعة يؤدي إلى مواكبة التطور والحضارة، وأنه كمفكر له الحرية في أن يفكر في كل شيء بأية طريقة كانت، هذا إن صح أنه يطلق عليه أنه: مفكر.

ففي المقالات السابقة توصلنا إلى أن الفكر الإسلامي هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، ولهذا كان تعريفه: دوران الشيء مجهول العين بين الوجود والعدم.

وإذا وصفنا الفكر بأنه إسلامي؟ فهذا يُثبت انتماؤه للإسلام؟ بمعنى أنه لا بد له من مصادر حددها الإسلام.

فمثلاً: القرآن حدد مصادر الفكر بمصدرين:

الأول: الوحي.

ثانيًا: الكون.

فالأول: كما في قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل:٤٤)؛ الذكر هنا هو السنة، وما نزل إليهم: القرآن.

أما الثاني وهو الكون: فقد وردت آيات كثيرة في القرآن تبين هذا الأمر، فآيات الكون كثيرة جدًا، وحاصل تدبرها الآن: إما يكون الحديث فيها عن الطبيعة: كسنن الآفاق من سماء وأرض وحيوان.. وغيرها، وذلك بمعرفة القوانين الكونية للطبيعة.

وإما عن الإنسان: كالأنفس، وكقيام الحضارات وسقوطها، ومعرفة قوانين المجتمعات الإنسانية.

هذا مع العلم بأن مصادر الفكر تدور حول وسائل المعرفة الثلاثة: (القلب، والعقل،

والحواس).
وقد ذكرها الله تعالى في قوله: «إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا» (الإسراء:٣٦)، ولهذا قال المفكرون الإسلاميون قديمًا:

إن للفكر الإسلامي خصائص، منها:

أولاً: الربانية في المصدر والغاية:
وذلك للعصمة من التناقض، والبراءة من التحيز والهوى، وسهولة الانقياد للمصدر مع وضع الغاية والهدف إرضاء لله تعالى.

ثانيًا: نزعة إنسانية:
مع العلم بأن الإنسان مستخلف في الأرض، خُلق في أحسن تقويم، قد سُخر الكون لخدمته، لا وسائل كهنوتية بينه وبين ربه.

ثالثاً: الشمول والوسطية والثبات:
فيجب أن يكون محل فكره شاملاً للأشخاص والأزمان والأحوال، بوسطية واعتدال، وبثبات في أصوله وأهدافه، مع المرونة الموجودة في فروعه ووسائله.

رابعاً: واقعيته مع احترام العقل ووضوحه.
حيث يكون الفكر واقعياً يحترم العقل، يراعي سنة التدرج في النزول من المثل الأعلى إلى الواقع، بوضوح تام لا لبس فيه.

سادسًا: يقدّر التجارب الإنسانية:
ألا يهدم تجارب غيره في الفكر، بل يقدّرها، ويجعل لها نصيباً من فكره، لا يدعي أن المفكر صاحب الفكر الأوحد.

هذا!! وقد وجدنا الغربيين من المفكرين يضعون مناهج للفكر عندهم من خلالها تتم عملية التفكير، وهذه المناهج رغم تسميتها بأسماء تعرف عندهم إلا أنهم لم يسبقونا- نحن المسلمين- إليها، سماها المسلمون: «مناهج التعامل مع النصوص»، وسموها هم: «مناهج التفكير السليم».

فالمنهج: هو الطريق الواضح المؤدي إلى بلوغ الحقائق بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل حتى يصل إلى النتيجة.
وهذا التعريف للمنهج محل اتفاق بيننا وبينهم، رغم أنهم اختلفوا في مناهج البحث؛ لقولهم: العلم يرتبط بأبعاد زمانية ومكانية متعددة.

فقالوا: المناهج ثلاثة:
الأول: المنهج الاستنباطي:
وهو كل مُستخرج شيئًا كان مستترًا عن الأبصار فهو مستنبط، كما قال ابن جرير: أو كما قال الجرجاني: هو استخراج المعاني من النصوص بقوة الذهن وفرط القريحة.
وأصله في كتاب الله تعالى: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ» (النساء:٨٣).
ولهذا المنهج عند الأصوليين أدوات ومبادئ ليس المقام محلاً لذكرها، ونجدهم يقولون عنه: طريقة من التفكير يحكم العقل بموجبها في قضية ما، بناء على قانون سابق.

أما الثاني: المنهج الاستقرائي:
والاستقراء هو التتبع، ولذلك يُعرف بالآتي: هو حالة صعود من النظر في الجزئيات للتوصل إلى أمر كلي كقاعدة عامة.
وعندنا نسميه بالقواعد الفقهية، وعند الغرب هو المنهج العمدة والأهم في العلوم التجريبية عندهم، وينسبونه لـ«بيكون» رغم أن المسلمين هم من أصَّلوه وهذَّبوه، ووضعوا قواعده وأسسه.

وأما الثالث: فهو المنهج الاستردادي: ويعتمد عندهم على الوجدان والخيال، وأعمل هذا المنهج في العلوم التجريبية، أما الوحي فَعندهم أمر مبهم، اختلفوا في شأنه، فمنهم من قال: إلهام، ومنهم من قال: نوبات صرعية.. إلخ، لكن عندنا نسميه: منهج النقل وتحقيق الأخبار، وهناك علوم تبحث وتقوم عليه، مثل علم المصطلح، وعلم الرجال، وعلم التاريخ.. إلخ.
فلم يسبقونا في هذا أيضًا، ومع ذلك نقول للمفكرين المعاصرين الذين تلقوا من الغرب آليات العلم والفكر: بأيّ المناهج تفكرون؟ وبأي الطرق في الفكر تسلكون؟
ولأن الإجابة على هذين السؤالين هي مضمون المقدمة لسؤالي الذي افترضته في بداية مقالي: أين يقع الفكر؟
حتى أستطيع مناقشة المسافة التي يقع فيها الفكر عندنا كمسلمين، بمصادر فكرنا وآلياته وخصائصه ومناهجه التي ذكرتها سابقًا.
وهذا ما سيكون فيه الكلام بالمقالة القادمة- إن شاء الله- أترككم في رعاية الله وأمنه، وصلى اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

باب الفقه

أحكام الصلاة

الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة

الكلام في الصلاة

الحلقة الثانية

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تكلمنا في الحلقة السابقة عن النهي عن الكلام في الصلاة، وذكرنا قول الإمام النووي أن كلام المصلي على ثلاثة أقسام (أحدها) أن يتكلم عامدًا لا لمصلحة الصلاة فتبطل صلاته بالإجماع، نقل الإجماع فيه ابن المنذر وغيره لحديث معاوية بن الحكم السابق وحديث ابن مسعود وحديث جابر وحديث زيد بن أرقم، وغيرها من الأحاديث التي ذكرناها.

وبينا أن الكلام إلى الغير في الصلاة، وإن كان الأصل فيه المنع؛ إلا أن هناك حالتين ذكرهما أهل العلم يجوز فيهما الكلام الموجَّه للآخرين:

الحالة الأولى: حالة الفتح على الإمام:

وقد اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي بَعْضِ أَحْكَامِ الْفَتْحِ عَلَى الإِمَامِ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى مَشْرُوعِيَّته إجْمَالاً. وصورة هذه الحالة في قراءة الإمام في الصلاة الجهرية فأخطأ في قراءة القرآن، أو توقف عن القراءة لعرض من نسيان فيجوز للمصلي أن يصحح له ما أخطأ فيه أو يقرأ عليه ما نسي من آيات ولا يزيد على القراءة شيئاً. قَالَ النَّوَوِيُّ: «إِذَا أُرْتِجَ عَلَى الإِمَامِ وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ اسْتُحِبَّ لِلْمَأْمُومِ تَلْقِينُهُ، وَكَذَا إِذَا كَانَ يَقْرَأُ فِي مَوْضِعٍ فَسَهَا وَانْتَقَل إِلَى غَيْرِهِ اسْتُحِبَّ تَلْقِينُهُ». (المجموع ٢٣٩/٤).

واستدل العلماء علي ذلك بحديث عبد الله بن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فالتبس عليه فلما فرغ قال لأبي: (أشهدت معنا؟) قال: نعم قال: (فما منعك أن تفتحها عليَّ) رواه أبو داود وابن حبَّان، قال شعيب الأرناءوط: رجاله ثقات.

واستدلوا أيضاً بحديث المُسَوَّر بن يزيد المالكي قال «شهدت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقرأ في الصلاة، فترك شيئاً لم يقرأه، فقال له رجل: يا رسول الله تركتَ آيةَ كذا وكذا، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: هلا أذْكَرْتَنيها؟» رواه أبو داود وحسنه الألباني.

ووجه الدلالة من الحديثين طلب النبي- صلى الله عليه وسلم - لمن حضر الصلاة معه من الصحابة بالفتح عليه وتذكيره بما نسي من القرآن.

والحالة الثانية: احتياج الإمام للتنبيه على خطأ أو سهو وقع في الصلاة:

فإن أخطأ الإمام في فعلٍ من أفعال الصلاة؛ كأن جلس في

آخر الركعة الأولى، أو أراد النهوض من الركعة الثانية دون جلوس؛ فإن المصلين يسبّحون بالقول (سبحان الله) إن كانوا رجالاً، ويصفقن بأكُفّهنّ فحسب إن كنّ نساء. وكذلك يسبّحون إن نابتهم نائبة في أثناء صلاتهم.

والأصل في ذلك هو ما رواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه «أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليُصلح بينهم وحانت الصلاة، فجاء بلال إلى أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه فقال: أتصلي للناس فأقم؟ قال: نعم، فصلى أبو بكر، فجاء رسول الله- صلى الله عليه وسلم- والناس في الصلاة فتخلَّص حتى وقف في الصف فصفَّق الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناسُ التصفيق التفت أبو بكر فرأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فأشار إليه أنْ اثبُتْ مكانك، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله تعالى على ما أمره به رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدَّم النبي- صلى الله عليه وسلم - فصلى.

فلما انصرف قال: يا أبا بكر ما منعك أن تلبث إذ أمرتُك؟ فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قُحافة أن يصلي بين يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق؟ مَن نابه شيء في صلاته فليسبِّح، فإنه إن سبَّح التُفِتَ إليه، وإنما التصفيق للنساء».

وفي رواية أخرى لابن حِبَّان من طريق سهل بن سعد «... ثم قال للناس: إذا نابكم في صلاتكم شيء فليسبح الرجال، ولْتصفِّق النساء».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء» رواه مسلم.

وفي رواية أخرى لمسلم بزيادة «في الصلاة» في آخرها.

فلا يزيد الرجل إن احتاج لمخاطبة الغير على أن يسبِّح، والتسبيح من جنس كلام الصلاة. (الجامع لأحكام الصلاة محمود عبد اللطيف عويضة: ٣١٣/٢).

ووجه الدلالة قوله- صلى الله عليه وسلم - في الحديث: «شيء»: فهي نكرة في سياق الشرط فتعمُّ أيَّ شيء يكون، سواء كان هذا الشيء مما يتعلَّق بالصلاة، أم مما يتعلَّق بأمر خارج، كما لو استأذن عليه أحدٌ، أو ما أشبه ذلك.

فهذا يشمل التنبيه على الخطأ، ويشمل التنبيه على الأمر، مثلاً لو أن شخصًا قرع عليك الباب وأنت تصلي تقول: سبحان الله. أو قرع على المرأة وهي تصلي صفَّقت، ولو أن امرأة تصلي وطفلها اقترب من نار أو اقترب من شيء فيه ضرر وبجانبها زوجها ساه عنه فصفقت بيدها أو هو يقول: سبحانَ الله تنبيهًا لها؛ فالرجل يسبح والمرأة تصفق سواء كان في التنبيه على الخلل في الصلاة أو غيره فإنْ انتبه المُنبَّه بمرَّة واحدة، لم يعده مرَّة أخرى؛ لأنه ذِكْر مشروع لسبب فيزول بزوال السبب، وإنْ لم ينتبه بأول مرَّة كرَّره؛ فيسبِّحُ ثانية وثالثة حتى ينتبه المُنبَّه. (دروس عمدة الفقه للشنقيطي ٤٤٥/٢).

فائدة:

فإن قيل: لماذا خُصَّ التنبيه بالتسبيح دون غيره من الذِّكْر؟

فالجواب: أن التسبيح يكون فيما إذا حَدَثَ للإمام نقصٌ صادرٌ عن نسيان أو خطأ، فناسب أن يكون التنبيه بالتسبيح؛ الذي هو تنزيه الله عن كل نقص.

ويستفاد من الحديث أيضاً أنه يشرع للمرأة أن تنبِّه كما يشرع للرجل وهنا ترد مسألة وهي هل تقتصر النساء على التصفيق أم يمكن أن يسبحن؟

إذا نظرنا إلى عموم الحديث قلنا: إن ظاهره لا فرقَ بين أن يكون مع المرأة رجال أو لا. وإذا تأملنا قلنا: بل ظاهر الحديث أنّ هذا فيما إذا كانت المرأة مع الرِّجال؛ لأنه ورد في رواية بلفظ: «فَلْيُسَبِّح الرِّجال ولْيُصَفِّح النساء»، فالمسألة مسألة اجتماع رِجَال ونساء، فوظيفة الرِّجَال التسبيح، ووظيفة النساء التصفيق، والمسألة محتملة، فمَن نَظَرَ إلى ظاهر العموم قال: تُصفِّق، ومن نَظَرَ إلى ظاهر السياق قال: هذا فيما إذا كان معها رِجال؛ أما إذا لم يكن

معها رِجَال فإنَّها تُسبِّح كالرِّجَال؛ والتعليل لأن التسبيح ذكْرٌ مشروع جنسه في الصَّلاة، بخلاف التصفيق؛ فإنه فعْل غير مشروع جنسه في الصلاة، ولجأت إليه المرأة فيما إذا كانت مع رِجَال؛ لأن ذلك أصون لها وأبعد عن الفتنة. (الشرح الممتع محمد بن صالح العثيمين ٣/٢٦٤).

مسألة:

لو فُرض أن المأموم سَبَّح، ولكن الإمام لم ينتبه، وسَبَّح ثانية، ولم ينتبه، وربما سَبَّح به فقام؛ وسَبَّح به فجلس؛ فماذا يصنع؟

نقل الإمام النووي وهو يذكر أقسام الكلام في الصلاة حكم هذه المسألة فقال: «الثاني: أن يتكلم لمصلحة الصلاة بأن يقوم الإمام إلى خامسة فيقول: قد صليت أربعا أو نحو ذلك، فمذهبنا ومذهب جمهور العلماء أنه تبطل الصلاة. وقال الأوزاعي: لا تبطل، وهي رواية عن مالك وأحمد».

ودليل الجمهور عموم الأحاديث الصحيحة في النهي عن الكلام؛ كقول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلام النَّاس»، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من نابهَ شيء في صلاته فليسبح الرجال وليصفق النساء»، ولو كان الكلام مباحًا لمصلحتها لكان أسهل وأبين، فلما عَدَلَ عنه عُلِمَ أن ذلك ليس بجائز؛ لأن المصلحة تقتضيه لولا أنه ممتنع. (المجموع ٤/٢٣٩).

واحتج القائلون بالجواز بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال « صلي بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر فسلم فقال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تقصر ولم أنسَ. فقال: بلى قد نسيت يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أحقًا ما يقول؟ قالوا: نعم، فصلى ركعتين أخريين ثم سجد سجدتين» رواه البخاري ومسلم من طرق كثيرة.

ووجه الدلالة: كلام ذي اليدين مع النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لا تبطل؛ لأن هذا كلام لمصلحة الصَّلاة، وليس كلام آدميين، يعني لم يقصد به التَّخاطب مع الآدميين، بل قَصَدَ به إصلاح الصَّلاة.

وأجيب عنه بأن هذا خطأ، لأن الناس إنما كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط، وتعمد الكلام معه عليه السلام لا يضر الصلاة شيئًا، وكلمهم عليه السلام وهو يقدر أن صلاته قد تمت، ولهذا قال: «لم أنسَ ولم تُقصرْ»، وأن الكلام له مباح، وكذلك تكلم الناس يومئذ بعضهم مع بعض وهم يظنون أن الصلاة قصرت وتمت، وفَرْقٌ بين شخص يعلمُ أنه في صلاة، ولكن يتكلَّم لمصلحة الصَّلاة، وشخص لم يتيقَّن أنه في صلاة، بل كان ظنُّه أنه ليس في صلاة، وأنَّ صلاته تمَّت، وحينئذ فلا يتمُّ الاستدلال بهذا الحديث. (انظر المحلي لابن حزم، الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/٢٦٦).

ولكن يبقى النَّظرُ؛ لو قال قائل: إذا لم نقل بأنَّه يُنبَّه بالكلام فسيكون ألعوبة، يُقال: سُبحان الله فيجلس، سبحان الله فيقوم، سبحان الله فيجلس، سبحان الله فيقوم، فلا بُدَّ من كلام؟

فربَّما يُقال في هذه الحال: إذا دعت الضَّرورة يتكلَّم المُنبِّه، ثم يستأنف الصَّلاة، فنقول: تكلَّم لمصلحة الصلاة، فإنك إذا تكلَّمتَ الآن أصلحت صلاة الجماعة كلَّها وفسدت صلاتُك، واستأنفْ، فيكون لمصلحة الجميع، ومصلحة الجميع مقدَّمة على مصلحة الفرد، حتى لو بقيتَ مع الإمام سوف تبطل صلاتك، أو يؤدي الأمر إلى أن تفارق إمامك. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣/٢٦٦).

مسألة:

ومن تكلم ساهيًا في الصلاة فصلاته تامة، وكذلك إن تكلم جاهلاً لا تبطل صلاته. وبه قال جمهور العلماء منهم ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير وانس وعروة ابن وعطاء والحسن البصري والشعبي وقتادة، وجميع المحدثين ومالك والأوزاعي والشافعي وأحمد في رواية وإسحاق وأبو ثور وابن حزم وغيرهم؛ رضي الله عنهم (المجموع ٤/٢٣٩ بتصرف).

واحتج الجمهور بقول الله عز وجل: (ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت

قلوبكم)، وحديث معاوية بن الحكم السلمي قال: (بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)، قال ابن حزم: «هذا الحديث يبطل قول أبي حنيفة؛ لأن فيه أنه كان بعد تحريم الكلام في الصلاة بيقين، ولم يبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته» (المحلى: ٤/٤).

وَلَمْ يُفَرِّقِ الْحَنَفِيَّةُ بِبُطْلاَنِ الصَّلاَةِ بِالْكَلاَمِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمُصَلِّي نَاسِيًا أَوْ نَائِمًا أَوْ جَاهِلاً، أَوْ مخْطِئًا أَوْ مُكْرَهًا، فَتَبْطُل الصَّلاَةُ بِكَلاَمِ هَؤُلاَءِ جَمِيعًا. قَالُوا: وَأَمَّا حَدِيثُ: إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ. فَمَحْمُولٌ عَلَى رَفْعِ الإِثْمِ. وَاسْتَثْنَوْا مِنْ ذَلِكَ السَّلاَمَ سَاهِيًا لِلتَّحْلِيلِ قَبْل إِتْمَامِهَا عَلَى ظَنِّ إِكْمَالِهَا فَلاَ يَفْسُدُ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ عَمْدًا فَإِنَّهُ مُفْسِدٌ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ١١٧/٢٧ وما بعدها).

والأرجح قول الجمهور لقوة أدلتهم.

فائدة:

مما يتعلق بالمسألة التي مرت قاعدة أن الشروط في باب المأمورات لا تسقط بالجهل والنسيان وفي التروك تسقط بهما. ودليل هذه القاعدة هو الاستقراء لأدلة الشريعة.

وشروط الصحة نوعان:

الأول: شروط كانت معدومة فأمر المكلف بإيجادها، فهذه هي المراد بقولي: (في باب المأمورات) يعني أن المكلف أمر بإيجادها، كالطهارة للصلاة كانت معدومة فأمر المكلف بإيجادها عند كل صلاة إذا كان محدثًا، فالطهارة شرط مأمور بإيجاده. الثاني: شروط أمر المكلف بعدم التلبس بها أي باجتنابها والابتعاد عنها، فهذه هي المرادة بقولي: (في باب التروك) يعني أن المكلف أمر بتركها، كإزالة النجاسة هو شرط تركي بمعنى أن المكلف أمر باجتناب النجاسة والابتعاد عنها لا بفعلها.

وإن أشكل عليك ذلك فإليك هذين السؤالين اللذين يوضحان الفرق: فأقول: إذا أشكل عليك شرط من شروط الصحة هل هو من شروط الإيجاد أو من شروط الترك؟ فاسأل نفسك سؤالين:

هل الله أمرنا بالإتيان بهذا الشرط أيّ بإيجاده وقد كان معدومًا؟ أم أن الله أمرنا بتركه واجتنابه والابتعاد عنه؟

إذا كان الجواب بالأول: نعم، أي أن الله أمرنا بإيجاده فاعرف أنه من شروط المأمورات.

وإذا كان الجواب بالثاني: نعم، أي أن الله أمرنا بتركه واجتنابه والابتعاد عنه فاعرف أنه من شروط التروك.

وإذا طبقنا هذا على مسألتنا نقول إن الكلام في الصلاة مما أمر المكلف بتركه واجتنابه لا مما أمر بفعله؛ فإذًا هو من شروط التروك، وشروط التروك تسقط بالجهل والنسيان؛ إذًا صلاته صحيحة ولا شيء عليه. (انظر تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية بتصرف ٢٨/١).

وللحديث بقية إن شاء الله.

عزاء وجب

فارق الدنيا إلى مستقره ومستودعه الحاج أحمد المُوَلَّد، بعد معاناة طويلة مع المرض، ندعو الله العلي القدير أن يبدله دارًا خيرًا من داره، وأن يكون مرضه كفارة لذنوبه، اللهم اغفر له وارحمه وتجاوز عن سيئاته، وأدخله الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين.

وخالص التعازي لصهري المحاسب إسلام المولد، والأستاذ وليد، والمهندس صلاح، ومحمد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس التحرير

إعداد/ سيد عباس الجليمي

تعليق اللوحات المكتوب عليها آيات من القرآن في المنازل وغيرها

هذه المسألة كثرت في الناس على أوجه متعددة ووضع لفظ الجلالة وبجانبه اسم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز، وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: « ما شاء الله وشئت »، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده ». وإذا كان الهدف من تعليق لوحة عليها اسم النبي صلى الله عليه وسلم من قبيل التبرك فهذا غير جائز أيضا؛ لأن التبرك إنما يكون بالتزام سنة النبي عليه الصلاة والسلام والاهتداء بهديه.

وكذلك بالنسبة لتعليق اللوحات المكتوب عليها آيات من القرآن الكريم في المنازل إذ لم يرد في ذلك عن السلف الصالح- رحمهم الله- ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا التابعين ولا أدري من أين جاءت هذه البدعة؟! فهي في الحقيقة بدعة؛ لأن القرآن إنما نزل ليُتلى لا ليُعلق على الجدران.

ثم إن في تعليقه على الجدران مفسدة؛ لأن من يفعلون ذلك قد يعتقدون أنه حرز لهم فيستغنون بذلك عن الحرز الصحيح وهو التلاوة باللسان كما قال النبي عليه الصلاة والسلام عن آية الكرسي: « من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح ».

أيضا قد لا تخلو المجالس غالباً من الأقوال المحرمة وربما كان فيها شيء من آلات اللهو ولا يجوز أن يجتمع كلام الله في أماكن كهذه لذلك ننصح إخواننا المسلمين بعدم تعليق لوحات تحمل آيات الله أو لفظ الجلالة أو اسم النبي عليه الصلاة والسلام.

قال الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى نور على الدرب فتاوى» ص٢٤: تعليق الآيات القرآنية على الجدران وأبواب المساجد وما أشبهها هو من الأمور المحدَثة التي لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح الذين هم خير القرون كما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ».

ولو كان هذا من الأمور المحبوبة إلى الله عز وجل لشرعه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن كل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم فهو مشروع على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان هذا من الخير لكان أولئك السلف الصالح أسبق إليه منا.

ومع هذا فإننا نقول لهؤلاء الذين يعلقون هذه الآيات ماذا تقصدون من هذا التعليق؟ أتقصدون بذلك احتراماً لكلام الله عز وجل؟ إن قالوا: نعم، قلنا: لسنا والله أشد احتراما لكلام الله سبحانه وتعالى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يعلقوا شيئا من آيات الله على جدرانهم وجدران مساجدهم وإن قالوا: نريد بذلك التذكير والموعظة، قلنا: لننظر إلى الواقع فهل أحد من الناس الذين يشاهدون هذه الآيات المعلقة يتعظ بما فيها قد يكون ذلك ولكنه نادر جداً وأكثر ما يلفت النظر في هذه الآيات المكتوبة حسن الخط أو ما يحيط بها من البراويز أو الزخارف أو ما أشبه ذلك.

ونادرا جداً أن يرفع الإنسان رأسه إليها ليقرأها فيتعظ بما فيها.

وإن قالوا: نريد التبرك بها فيقال: ليس هذا طريق التبرك والقرآن كله مبارك لكن بتلاوته وتفقه معانيه والعمل به لا بأن يعلق على الجدران ويكون كالمتاحف.

وإن قالوا: أردنا بذلك الحماية والورد قلنا: ليس هذا طريق الحماية والورد فإن الأوراد التي تكون من القرآن إنما تمنع صاحبها إذا قرأها كما في قوله صلى الله عليه وسلم فيمن قرأ آية الكرسي في ليلة: « لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح » ومع هذا فإن بعض المجالس أو كثيراً من المجالس التي تكتب فيها هذه الآيات قد يكون فيها اللهو بل قد يكون فيها الكلام المحرم أو الأغاني المحرمة وفي ذلك من امتهان القرآن المعنوي ما هو ظاهر.

احذر هذا الكتاب

الكافي للكليني

كُتاب الكافي وأمثاله من الكتب تُرسِّخُ التفرقة، وتدعو إلى الشعوبية، وإلى العنصرية، وتستحل الدماء والأعراض والأموال باسم آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومؤلفه هو محمد بن يعقوب الكليني، ولد في مدينة كلين في إيـران، ويقال له الكليني ويقال له الرازي كذلك ويُعرف أيضاً بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور، وكان شيخ الشيعة في وقته بالري ووجههم كذلك.

وقال عن سبب تأليف كتابه للسائل: وقلت إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع من جميع فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلم ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين. فمن أمثلة الطوام التي فيه.

باب الفضائل وهو باب عجيب:

وهذا فضل العمامة:

عـن أبـي عـبْـد الله (عليه السلام) قـالَ: (مَنْ خرَجَ منْ مَنْزله مُعْتَماً تحْتَ حَنَكه يُريدُ سَفَراً لَمْ يُصبْهُ في سَفَره سَرَقٌ ولا حَرَقٌ ولاَ مَكْرُوهٌ).

كذلك يروون أنه كَانَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وآلـه) إذَا أَرَادَ تَزْويجَ امْـرَأَة بَعَثَ مَنْ يَنْظُرُ إلَيْهَا ويَقُولُ: (للْمَبْعُوثَة شَمِّي ليتَهَا - يعني الرقبة- فَإنْ طَابَ ليتُهَا طَابَ عَرْفُهَا وانْظُري كَعْبَهَا فَإنْ دَرِمَ كَعْبُهَا عَظُمَ كَعْثَبُهَا). أتدرون ما الكعثب؟ الكعثب: الفَرْج، هل من الممكن أن يصدر هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟؟، بل هل يمكن أن يخرج هذا الكلام من رجل صالح كما في هذه الرواية الخبيثة، والعياذ بالله.

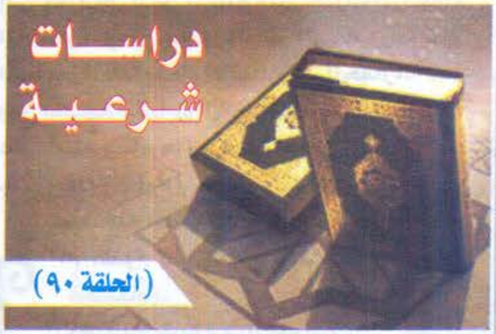
النظر إلى عوراتِ الآخرين:

عَنْ أَبي عَبْد الله (عليه السلام) قَالَ: (النَّظَرُ إلَى عَوْرَة مَنْ لَيْسَ بمُسْلم مثْلُ نَظَرِكَ إلَى عَوْرَة الْحمَـار). يعني يجوز النظر إلى عـورات غير المسلمين!! كما ينظر الإنسان إلى الحمار!.

ومن طعنهم أيضا في آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما رووه عن جعفر الصادق في تزويج أم كلثوم بنت علي لعمر: عَنْ أَبي عَبْد الله (عليه السلام) في تَزْويج أُمِّ كُلْثُوم فَقَالَ: (إنَّ ذَلـكَ فَرْجٌ غُصبْنَاهُ).

وهـذا أيضـا مـن الطـرائف المحزنة المبكية المضحكة في نفس الوقت..

يـقـول علـي لسلمان الـفـارسـي رضـي الله عنهما: يـا سلمان هل تـدري أول مـن بايع أبـا بكر على منبر سول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! قلت: لا أدري، إلا إني رأيـت في ظُلة بـنـي سـاعـدة حين خُصمت الأنصار وكان أول من بَايعه بشير بن سعد وأبـو عبيدة بن الجـراح ثم عمر ثم سالم، قـال: لست أسألك عن هذا، ولكن أتـدري أول من بايعه حين صعد على منبر سـول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! قلت: لا، ولكني رأيت شيخا كبيراً متوكئا على عصاه بين عينيه سجادة شديد التشمير صعد إليه أول من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان أبسط يدك، فبسط يده فبايعه ثم نزل فخرج من المسجد، فقال علي عليه السلام: هل تدري من هو؟، قلت: لا، ولقد ساءتني مقالته كأنه شامت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم). يعني أنه إبليس.



أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

النمص (٦)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد سبق معنا في الأعداد الماضية مناقشة:

١- الأحاديث الواردة في النمص.

٢- معنى النمص لغة.

٣- معنى النمص عند الفقهاء الأربعة.

٤- فقه الأحاديث.

٥- القرائن المستخدمة في البحث.

وقد ذكرنا منها: أولاً: تخصيص النص بالعرف واللغة. ثانيًا: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. ثالثًا: القبول والرد للحديث. رابعًا: الحديث الضعيف لا يؤخذ منه حكم. خامسًا: هل يقاس الحلق والتشقير على النمص. سادسًا: هل تغيير خلق الله على عمومه أم أن له ما خصصه. ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

سابعًا: عودة الاستثناء:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لُعنت الواصلة والمستوصلة، والنامصة والمتنمصة، والواشمة والمستوشمة من غير داء» (صحيح سنن أبي داود)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النامصة والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء (مسند أحمد).

ظاهره أن التحريم المذكور إنما هو فيما إذا كان لقصد التحسين لا لداء وعلة، فإنه ليس بمحرم (نيل الأوطار ٦/٢٢٩)، وقد جوّز النبي صلى الله عليه وسلم لعرفجة بن أسعد أن يتخذ أنفًا من ذهب، رغم تحريم استعمال الذهب على الرجال، كما في الحديث عن عبد الرحمن بن طرفة: أن جده عرفجة بن أسعد قُطع أنفه يوم الكُلاب، فاتخذ أنفًا من ورق (فضة) فأنتن عليه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ أنفًا من ذهب (فائدة: يوم الكُلاب (بضم الكاف): وادي وقعت عنده حروب في الجاهلية، وهما يومان: الكلاب الأول، والكلاب الثاني... وقد اختلف العلماء في موضع (وادي الكلاب)، وأغلب الظنّ أنّه في حدود بلاد العراق بين الكوفة والبصرة. (انظر المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد بن محمد حسن شراب صـ٢٣٢).

والسؤال على ماذا يعود الاستثناء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، هل يعود على أقرب مذكور وهو الوشم فقط، فيجوز الوشم إن كان

لداء أو علة، أم إن الاستثناء يعود على سائر المذكورات في الحديث من الوصل والنمص والوشم، فتجوز إن كانت لداء أو علة؟

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة، هل الاستثناء الواقع بعد الجمل المتعاطفة بالواو يرجع إليها جميعًا أو يرجع إلى الأخيرة فقط؟ قال ابن العربي: الاستثناء إذا عقب جملاً اختلف الناس فيها، من قال: إنها ترجع إلى الجمل كلها، وهم الأكثر، ومنهم من قال ترجع إلى آخر جملة، وهو أبو حنيفة وأصحابه. مثل أن يقول في الوصية: ثلث مالي للفقراء بني بكر وتغلب وزهرة إلا من كان ملحفا في مسألته، رجع هذا الاستثناء عندنا إلى الجميع، ورجع عنده (أبو حنيفة) إلى زهرة خاصته. (انظر المحصول لابن العربي ص٨٤، ٨٥).

مثال ذلك في قوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ» (النور: ٤)، ثم قال الله تعالى: «إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النور: ٥)، فهل يعود الاستثناء على أقرب مذكور وهي (أولئك هم الفاسقون)، وبالتالي فإنه عند أبي حنيفة ومن وافقه لا تقبل شهادة القاذف إن تاب؛ لأن الاستثناء يعود على وصف الفسق فقط، فإن تابوا فلا يحكم عليهم بالفسق، لكن لا تقبل شهادتهم، أم تعود على جميع المذكورات في الآية، فإن تاب قبلت شهادته وعادت إليه عدالته إلا ما خصصه الإجماع وهو أن التوبة لا تُسقط عنه الحد (انظر الفروق للقرافي ٤/١١٠).

وهذا الخلاف إن لم تكن هناك قرينة تدل على إرادة الجميع أو تدل على أن المراد أقرب مذكور (الجملة الأخيرة) أو قرينة تدل على غير ذلك، فإن كان هناك قرينة وجب العمل بمقتضاها.

مثال لعودة الاستثناء إلى جميع الجمل المتعاطفة قوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الفرقان: ٦٨- ٧٠)؛ فإن الاستثناء في الآية يعود إلى جميع المذكورات في الآية، وليس الأخير فقط.

مثال لعودة الاستثناء إلى الجملة الأولى: قوله تعالى: «فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ» (البقرة: ٢٤٩)، فالاستثناء هنا راجع إلى الجملة الأولى، فالمعنى: فمن شرب منه فليس مني إلا من اغترف غرفة بيده فإنه مني، ولو كان الاستثناء راجعًا إلى الجملة الأخيرة، لكان المعنى: ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده، وهذا لا يراد.

ومثال لعودة الاستثناء إلى الجملة الأخيرة (أقرب مذكور) قوله تعالى: «وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟» (النساء: ٩٢)، فالاستثناء هنا راجع إلى الدية وليس إلى تحرير الرقبة؛ لأنه حق لله تعالى لا يسقط بإسقاطهم، مع ملاحظة أن هذا الخلاف محله في الجمل المتعاطفة بالواو، أمّا إذا كان العطف بغيرها، كالفاء وثم، فإن الاستثناء يختص بالجملة الأخيرة (أقرب مذكور) حيث إن الفاء وثم يقتضيان الترتيب والواو لا تقتضي ذلك. فالخلاصة أن العلماء اختلفوا في الاستثناء الواقع بعد الجمل المتعاطفة بالواو، على مذهبين: الأول أنه يرجع إلى جميع الجمل، وهو مذهب جمهور العلماء الثاني أن الاستثناء يرجع إلى الجملة الأخيرة، ولا يرجع إلى جميع الجمل، وهو مذهب أبي حنيفة وجمهور الحنفية، وبعض الحنابلة كالمجد ابن تيمية وكثير من الظاهرية (انظر المهذب في علم أصول الفقه المقارن د. عبد الكريم النملة ٤/١٦٩٣-١٦٩٨).

نعود - بعد تحرير المسألة - إلى حديث النَّمص، فهل الاستثناء فيه يرجع إلى أقرب مذكور وهو الوشم فقط- على مذهب أبي حنيفة- وبالتالي يجوز للمرأة أن تصنع وشمًا إذا كان لداء وعلة. أم أن الاستثناء يعود على جميع المذكورات: النمص، والوصل، والوشم، على مذهب جمهور أهل العلم؟ فقيل يعود على الواشمة والمستوشمة فقط، فإن احتاجت إلى الوشم للمداواة جاز وإن بقي منه أثر، وقيل متعلق بكل ما تقدم، أي لو كان بها علة فاحتاجت إلى أحدها جاز (انظر مرقاة المفاتيح ٧/٢٨٣٦، وعون المعبود ١١/١٥٢).

وقال الشوكاني: «(إلا من داء) ظاهره أن التحريم المذكور إنما هو فيما إذا كان القصد التحسين لا لداء وعلة فإنه ليس بمحرم» (نيل الأوطار ٦/٢٢٩).

وقال الحافظ ابن حجر: «ويستفاد منه (أي: من الحديث) أن من صنعت الوشم عن غير قصد له، بل تداوت مثلاً فنشأ عنه الوشم أن لا تدخل في الزجر» (فتح الباري ١٠/٣٧٦).

والوشم: غرز الكف أو المعصم أو ما شاءت من جسدها بالإبرة، ثم تحشى بالكحل أو نحوه، وكانت المرأة العربية تتزين به ومن أمثال العرب: لهو أخيل في نفسه من الواشمة: انظر لسان العرب ١٢/٦٣٨).

كنت سأرجح أن الاستثناء هنا يعود على جميع المذكورات في الحديث، من النَّمص والوصل والوشم لولا هذه الرواية للحديث في سنن النسائي بسنده عن الحارث قال: لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والواشمة والمستوشمة، قال: إلا من داء، فقال: نعم... (صحيح سنن النسائي) فيضم هذا الحديث للأحاديث السابقة - كقرينة - ترجح أن القيد المذكور في حديثي ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، يعود على الوشم، وهو آخر مذكور في الحديث، وذلك بدلالة أن الوشم ذُكر في هذا الحديث بمفرده وليس مقرونًا بالنَّمص والوصل.

وإنْ كنت رجحت عودة القيد (إلا من داء) على الوشم فقط، فالمسألة خلافية.

ويثار سؤال إذا قلنا: إنَّ الراجح أن القيد المذكور في الحديث يعود على الوشم فقط، وجواز ذلك عند وجود داء وعلة، فهل يقاس عليه الوصل والنَّمص، أم لا يقاس عليه؟ أما وصل الشعر فقد ثبت أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم نهى امرأة من الأنصار زوَّجت ابنة لها فاشتكت فتساقط شعرها، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تستأذن في أنْ تصل لها شعرها، فلم يأذن لها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم (والحديث متفق عليه)؛ فهذه الابنة - وهي حديثة عهد بزواج- كانت عندها علة وهي تساقط بعض شعر رأسها، ومع ذلك فلم يأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تصل في شعر رأسها؛ لأن هذا من باب زيادة التجميل، لكن ماذا لو تساقط شعر رأس المرأة بالكلية حتى صارت صلعاء بلا شعر، فهل تدخل أيضًا في النهي عن الوصل، أم أن هذا أمر مختلف، صار طلبه ليس بحثًا عن زيادة جمال إنَّما لإزالة عيب ومرض ينفِّر منها زوجها والضرر يزال.

ففارق بين إزالة عيب منفر وبين زيادة تجميل. وعلى هذا فإنه في هذه الحالة وأمثالها نقيس على القيد الوارد في الحديث - ورجحنا أنه يعود على الوشم- إلا من داء).

ومن باب إزالة العيب المنفر أيضًا جاز للمرأة أن تزيل الشعر النابت في وجهها سواء في الخدين وغيرهما، لأنه ليس من المعتاد أن ينبت شعر للمرأة في خديها أو شاربها فهنا لا بأس بإزالته لأنَّه مشوّه للمرأة وخلاف المعتاد، لكنّ الحاجبين لا ينسحب عليها ذات الحكم فإنَّه من المعتاد أن تكون إما رقيقة دقيقة أو تكون كثيفة، وهذا لا يعد عيبًا، بل يعدون المرأة التي لا حواجب لها أو حواجبها دقيقة جدًا، أن هذا ليس من الجمال، ولو تصورنا أن هناك حاجبين منفرين فاحشين فهنا جاز للمرأة بالقص ونحوه أن تزيل العيب المنفِّر فقط بالقص أو بالحلق - لجواز بعض أهل العلم ذلك لأنه لا يدخل في النمص، لكن هذا الباب لا يُفتح على مصراعيه أمام النساء، ولا تُفتي المرأة نفسها فيه، وإلا فسترى كل امرأة تدعي بأن بها عيبًا منفرًا في حاجبيها يستدعي الأخذ منهما، وإنما جاز ذلك وفقا لقاعدة فقهية مهمة، وهي أن «الضرورات تبيح المحظورات»، مع ملاحظة أن جواز الأخذ من الحاجبين عند فحشهما مقيد بإزالة العيب المنفِّر فقط، وليس رسمًا للحاجبين وتغييرًا لشكلهما الذي خلقهما الله تعالى، كما هو عادة غالب النساء الآن - إلا من رحم الله- وإلا صار ذلك طلبًا للحسن والجمال، وتدخل المرأة في اللعن المذكور في حديث النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرات خلق الله تعالى.

ثامنًا: الشعر ما بين الحاجبين:

والشعر بين الحاجبين هو ما يقابل أصل الأنف: فهل يدخل الشعر النابت ما بين الحاجبين في حكم الحاجبين، وبالتالي لا يجوز أخذه إلا بالضوابط التي بيناها بأن يكون كثيرًا جدًا مشوهًا للخلقة، أم أنه يدخل في عموم شعر الوجه فيجوز إزالته؟

وهذه المسألة خلافية، فمن العلماء من ألحقهما بالحاجبين، ومنهم من لم يلحقهما بالحاجبين، ممن اعتبره أنه ليس من الحاجبين قال: إنه مسكوت عنه في الشرع، وبالتالي فلا حرج على المرأة في إزالته، خاصة إذا كان فيه تشويه للخلقة، وممن ذهب إلى ذلك اللجنة الدائمة للإفتاء فقالت بجواز نتف الشعر الذي بين الحاجبين؛ لأنه ليس من الحاجبين. (فتاوى اللجنة الدائمة ٥/٢١٢)، وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

المسلم بين إرادة التغيير وإدارته

الإبداع طريقك نحو قيادة المستقبل

(الحلقة الخامسة)



إعداد/ د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد بجامعة التضامن الفرنسية العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وصلى الله عليه وسلم.

ذكرنا في المقال الأول: أننا بحاجة للتغيير والتطوير والتنمية، نعم نحن بحاجة لتغيير العادات، وتطوير الآليات، وتنمية المهارات، فكانت أولى التوصيات أن نضع مقياساً ومعياراً لأفعالنا وأقوالنا؛ لكي نحدد الدرجة التي نحن عليها، ومدى قبولنا عند الناس، ومدى تأثيرنا فيهم، والوجهة التي نريدها؛ فما يمكن قياسه يمكن تقييمه وتقويمه.

وفي المقال الثاني: وضحنا ضرورة العمل على تقوية الثقة بالله، وحسن التوكل عليه. وذكرنا لذلك بعض طرق استنهاض الثقة بالنفس والعمل على تقويتها.

وفي المقال الثالث: كتبت لك بعض الشعارات التي قد تساعدك على اكتساب الثقة بالنفس، وكيفية استنهاضها وتقويتها، وقد وعدتك بأننا سوف نتحدث عن التفكير ومهاراته، مع ضرورة اعتقاد أن التفكير السديد المنتج مهارة يُكسبها التعليم والتعلم، وعادة يَصنعها التمرين والتدرب، والإيمان بخبر القرآن في هذه المعادلة: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» (سورة الرعد: ١١).

وفي المقال الرابع: كتبت لك عن التفكير، وأهميته، وبواعثه، وكيف أن التفكير يُعد فريضة واجبة. ونصحتك بقراءة كتاب عباس العقاد: «التفكير فريضة إسلامية». كما وضحت لك أنه عبادة ورأينا كيف أن الوحي حثَّ على ضرورة التفكير. مثلاً في قوله تعالى: «فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (سورة الأعراف: ١٧٦).

وذكرت لك بعض المهارات التي تعينك على التفكير. وفي تمام المقالة وعدتك أن نلتقي في مقالة جديدة عن الإبداع والتطوير كتدرج طبيعي للتفكير ومهاراته، وفريضة لازمة لشخصية إسلامية متطورة متواكبة نافعة مرشدة موجهة.

ابتداءً الإسلام منذ اليوم الأول أطلق العِنان لكل مبدع أن يشدّ همته، ويقدح زناد فكره، ويعود بما يمتع وينفع الإنسانية كلها، دونما حَجْر في هذا المجال، طالما أن الأمر لا يمسّ العقيدة، أو يكون على حساب مصلحة عامة.

لذا.. نجد النصوص من الكتاب والسنة تتضافر كلها لإرساء مبدأ (حرية الإبداع)؛ لأن الإسلام ينظر إلى الأمر على أنه جزء من كل، أو حلقة في منظومة إسلامية عامة وشاملة تُفضي بعضها إلى بعض لتحقق في النهاية الغاية من وجود الإنسان في الأرض. قال تعالى فاتحاً أبوابه للمعرفة، وداعماً للمبدعين في قوله تعالى: «وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (سورة النحل: ٨). وقوله صلى الله عليه وسلم لحسان شاعر الإسلام مؤيداً وداعماً له: «اللهم أيده بروح القدس» (صحيح البخاري، حديث رقم (٢٩٩٢))، كما دعم النبي صلى الله عليه وسلم المبدعين: (أقرؤكم أبي، وأفرضكم زيد، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقضاكم عليّ)، والأمثلة كثيرة في ديننا.

ما الإبداع وماذا نقصد به؟

في الحقيقة هناك تعريفات كثيرة منها: «الإبداع هو: العملية التي تؤدي إلى ابتكار أفكار جديدة، تكون مفيدة ومقبولة اجتماعياً عند التنفيذ».

وعرَّفه بطريقة شاملة الدكتور علي الحمادي فقال: «الإبداع هو مزيج من الخيال العلمي المرن؛ لتطوير فكرة قديمة، أو لإيجاد فكرة جديدة، ومهما تكن الفكرة صغيرة فقد ينتج عنها إنتاج متميز غير مألوف، يمكن تطبيقه واستعماله» ا.هـ.

نخلص إلى أن: الإبداع هو إنتاج أفكار جديدة خارجة عن المألوف، شريطة أن تكون أفكاراً مفيدة، فقد يترتب على الإبداع في مجال ما دمار وضرر؛ وهذا لا يسمى إبداعاً بل هو تخريب!

فمثلاً لو قلنا: إن موظفاً ما ابتكر طريقة جديدة لتخفيض التكاليف، أو لتعزيز الإنتاج لمنتج جديد، فإننا نعد هذه الفكرة من الإبداع.

من هو المبدع؟

يظن بعض الناس أن الإنسان المبدع وُلِدَ هكذا مُبدعاً، هذا مفهوم غير صحيح! وباختصار أقول: إن كل شخص يستطيع أن يبدع ويبتكر إلا من يأبى! وإليك هذه القصة للتوضيح:

كان أحد رجال الأعمال يقف في طابور طويل في أحد المطارات، لاحظ الرجل أن أغلفة تذاكر السفر بيضاء خالية، ففكر في طباعة إعلانات على هذه المغلفات، وتوزيع هذه الأغلفة مجاناً على شركات الطيران، وافقت شركات الطيران على هذا العرض، وتعاون رجل الأعمال مع مدير إحدى المطابع وتم هذا المشروع، وكانت النتيجة أن حققت فكرته أرباحاً قُدرت بملايين الدولارات! الفكرة بسيطة وصغيرة، لكنها إبداعية جديدة، لقد شاهد كثيرون ما رآه رجل الأعمال هذا، إلا أن أحداً لم يفكر كيف يفيد من هذا الأمر كما فكر هو، وصار لهذا الرجل زبائن من الشركات الكبرى في الولايات المتحدة.

وحري بنا أن نذكر بعض المفاهيم حول الإبداع، وذلك من خلال كتاب: «مبادئ الإبداع» للدكتور طارق السويدان (بتصرف).

لم تبحث عن الإبداع وما هي دوافعه؟

يمكننا إجمال دوافع الإبداع فيما يأتي:

١- دوافع ذاتية داخلية؛ مثل الحماس.

٢- دوافع مادية ومعنوية؛ مثل المكافآت.

٣- دوافع بيئية خارجية؛ مثل التصدي للمشكلات.

٤- دوافع خاصة بالعمل؛ مثل الرغبة الشديدة في التوصل إلى فكرة مبدعة والحصول عليها.

وهذا الإبداع له خصائص منها:

١- القدرة على اكتشاف علاقات جديدة.

٢- القدرة على استنطاق تلك العلاقات والإفصاح عنها.

٣- الربط بين العلاقات الجديدة وبين العلاقات القديمة التي سبق لغيرك اكتشافها.

٤- توضيح العلاقات الجديدة لتحقيق أهداف معينة.

٥- الإحجام عن الأخذ عن الآخرين إلا بالقدر الذي يخدم ويحقق الإبداع لديه. اهـ.

كيف تولد الأفكار الجديدة؟

إن الأفكار تولد في لحظة خاطفة، وقد تتلاشى من مخيلتك إلى الأبد ما لم تسارع بتدوينها. وقد تظهر الأفكار المثمرة في أغرب الأوقات، ولن تبزغ هذه الأفكار دائماً وأنت تعالج المشكلة المتعلقة بها، ولكن قد تواتيك ومضة من الاستبصار في الوقت الذي تكون فيه مشغولاً بأعمال أخرى، أو مشتركاً في محادثة، أو منصتاً إلى محاضرة، أو قائماً بالتدريس، أو عاكفاً على قراءة كتاب، أو مسترخياً بالمنزل.

واعلم أنه حتى لو بدت هذه الفكرة لحظة ورودها واضحة تماماً، أو مهمة للغاية بحيث يستحيل نسيانها، فهناك دائماً احتمال أن تضيع منك فيما بعد؛ لذلك حينما تنبت في عقلك نواة لفكرة احفظها مباشرة كتابة؛ للاستفادة منها في المستقبل، فالاحتفاظ بمذكرات منظمة إبان البحث يفيد البحث كثيراً.

وكما قال الشاعر:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيدُه
قيِّد صُيودكَ بالحبالِ الواثقَة
فمِنَ الحماقة أنْ تَصيدَ غزالةً
وتدعَها بينَ الخلائقِ طالقَة

وها هي نصائحي لكَ للحصول على الأفكار:

- احرص على الساعات الأولى من النهار.
- ابدأ اجتماعاتك مبكراً.
- اقض على المقاطعات التي تربك التفكير.
- رتِّب معلوماتك.
- تحمّس لعملك.
- اعمل في المكان المناسب.
- أوجد الحافز.
- احذر التخمة.
- التزم بطاعة الله تعالى ينشرح صدرك.

محفزات الإبداع:

إن عوامل استثارة الإبداع متعددة ومتنوعة، كما يقول الأستاذ المبدع زهير المزيدي في كتاب: «مقدمة في منهج الإبداع، ١٩٩٣م»: فنجد أن هذه العوامل كائنة- أولاً- في الاستعانة بالله تعالى، ومدى قوة وصفاء الاتصال به سبحانه، ثم يلي ذلك عوامل عديدة هي: الملاحظة الدقيقة، وكثرة الاطلاع، ودرجة التقدير لعامل الوقت، ودرجة التمرس في طرق النقاش المنهجي، ودرجة خصوبة الخيال، ودرجة تنوع النماذج.

كما أن المكافآت، سواء المعنوية أو المادية منها، لها أثر كبير في استثارة الإبداع لدى الناس، وخير مثال على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يكافئ صحابته، فكان يقول لعلي رضي الله عنه: «امض ولا تلتفت». كما ثبت أنه عناه بقوله صلى الله عليه وسلم: «سأعطي الراية غداً لرجل يحبه الله ورسوله» (صحيح البخاري).

ويتبدى اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم منهج التحفيز والتعزيز والإثابة في مواقف أخرى منها: عندما لقب خالد بن الوليد بسيف الله المسلول، وأبا بكر بالصديق، وعثمان بذي النورين، وفي تبشيره بعض الصحابة بالجنة، وفي قوله لشاعر الإسلام: «اللهم أيِّده بروح القدس» (صحيح البخاري، حديث رقم (٢٩٩٢)).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة حاثًا له على المبادرة في طلب الجديد من أبواب الخير الكثيرة، وعدم الانشغال بباب واحد فقط منها: «سبقك بها عُكَّاشة». (صحيح مسلم حديث رقم (٣٢٨)).

كما نراه صلى الله عليه وسلم قد حفّز جرير بن عبدالله البجلي بالدعاء له بالهداية والثبات، حيث قال له: «اللهم ثبِّته واجعله هادياً مهديّاً» (صحيح البخاري، حديث رقم (٢٨١٤))، وقد قال صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام: «لكل نبي حواريّ، وحواريَّ الزبير» (صحيح البخاري رقم (٣٨٣١)).. وهكذا. هذا، وصَلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

بُشرى للخاضعين لأمر الله

قال تعالى: " فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" (الحج ٣٤، ٣٥).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

إكرام ما يكرمه الله

عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ من إجلال الله إكرامَ ذي الشّيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السّلطان المقسط» (سنن أبي داود وحسنه الألباني).

من أقوال السلف

عن علي بن الحسن رضي الله عنه قال: قلت لابن المبارك: كيف تعرف ربنا عز وجل؟ قال: في السماء على العرش، ولا نقول كما قالت الجهمية: هو معنا هاهنا. (تاريخ الإسلام للذهبي).

من دلائل النبوة

شفاء من أصابه صَرَع

عن يعلى بن مرة: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتته امرأة فقالت: إن ابني هذا به لَمم (أي: صَرَعٌ) منذ سبع سنين، يأخذه كل يوم مرتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أدنيه"، فأدنته منه، فتفل في فيه، وقال: اخرج عدو الله! أنا رسول الله". (رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني)

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي وابنه جعفرًا عن أبي بكر وعمر فقالا: يا سالم أيسبُّ الرجل جده؟! أبو بكر جدي، فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما" (تاريخ الإسلام للذهبي).

حكَم ومواعظ

عن ابن حبان قال: لا يستحقّ أحد اسَم الرناسة حتّى يكون فيه ثلاثة أشياء: العقل والعلم، والمنطق، ثمّ يتعرى عن ستّة أشياء: عن الحدّة، والعجلة، والحسد، والهوى، والكذب، وترك المشورة. (روضة العقلاء).

إعداد/ علاء خضر

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه» (رواه مسلم).

من غريب الحديث

(وعثاء) في قوله صلى الله عليه وسلم "اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر" أي: شدته ومشقته. وأصله من الوعث، وهو الرمل، والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق. يقال: رمل أوعث، ورملة وعثاء. (النهاية لابن الأثير).

خُلق حسن فالزمه

عن سهل قال: "من أخلاق الصديقين أن لا يحلفوك بالله، ولا يغتابون، ولا يُغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا". (تاريخ الإسلام للذهبي).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"كنت كنزًا لا أُعرف، فأحببت أن أُعرف؛ فخلقتُ خلقاً فعرَّفتُهم بي، فعرفوني".

قال الألباني: لا أصل له اتفاقًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُعرف له إسناد صحيح، ولا ضعيف". (السلسلة الضعيفة للألباني).

خُلق سيئ فاحذر منه

ذم الفضول وسوء الظن والاشتغال بما لا يعني

عن سهل: "من تكلم فيما لا يعنيه حُرم الصدق، ومن اشتغل بالفضول حُرم الورع، ومن ظن السوء حُرم اليقين، فإذا حُرم من هذه الثلاثة هلك". (تاريخ الإسلام للذهبي).

من حكمة الشعر

قال ابن عبد ربه في مكارم الأخلاق:

إن الحياة مزارع... فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقى سوى... آثارهم والعين تُفقَد
أو ما سمعت بمن مضى... هذا يُذمُّ وذاك يُحمَد

(العقد الفريد)

ظاهرة المخدرات .. فهل أنتم منتهون؟!

الحلقة الثانية

الحمد لله «غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» (غافر:٣)، وأصلي وأسلم على نبي الرحمة الداعي لكل خير، الناهي عن كل شر، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد تحدثنا في العدد الماضي عن آفة تنذر بفناء المجتمعات، هي أم الخبائث ورأس الشرور، وكبيرة من كبائر الذنوب، متعاطيها معرضٌ نفسه لوعيد الله، ولعنته وغضبه، ألا وهي المخدرات، ووعدنا أنه بحول الله وقوته نتحدث في هذا العدد عن كيفية الخلاص من هذا الوباء. فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

أولاً: قد عرفت أخي أن كل مسكر حرام، وقد سقت لك الأدلة من الكتاب والسنة فالواجب عليك أن تستجيب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: «اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ» (الشورى:٤٧)، وشهد سبحانه للذين استجابوا بالإيمان ووعدهم بالزيادة من فضله، قال الله تعالى: «وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ» (الشورى:٢٦)، وقال تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (النساء: ١٣- ١٤)، فليكن شعارك: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» (البقرة:٢٨٥)، وردد قول الله سبحانه على سمعك: «فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ» (المائدة:٩١)، فتسارع وتقول: انتهينا، انتهينا.

وهذه أول بشارة تدل عن صدق التوبة فقد قال الله تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» (النساء:١٧)، هذا وإن لمحبة الله لعبده آثارًا يغبط عليها المحبون، منها: أن يلقى الله محبة حبيبه في قلوب عباده، قال الله تعالى لكليمه موسى عليه السلام: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» (طه:٣٩)، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» (مريم:٩٦)، أي: محبة في قلوب العباد، ومنها: فرح الله بتوبتك، قال صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح». (مسلم: ٢٦٧٥).

ثانيًا: أن تتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». (صحيح الجامع: ٧٢٩٩).

فتذكر أخي قول الله تعالى: «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ» (الحاقة:١٨). وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار بشق تمرة». (متفق عليه).

فتمثل نفسك- أخي- وأنت واقف بين يدي الله تعالى وقد سألك عن مالك، من أين اكتسبته وفيم أنفقته، ماذا أنت قائل لربك وقد أنفقته في الحرام؟ وتمثل نفسك وأنت ماثل بين يدي الله سبحانه وقد سألك عن جسمك فيم أبليته؟ وقد ثبت ضرر تعاطي المخدرات

بالصحة، ومن ذلك أن جملة من الأطباء المعتبرين من الحذاق قرروا أنها تحدث داء السرطان الرئوي، ولو لم يكن فيه إلا هذه المضرة الواحدة لكان الجدير بالعاقل اللبيب الذي يحافظ على صحته وحياته أن يجتنبها، بل أثبتت الدراسات أن شرب المخدرات له تأثير مباشر على خلايا المخ فيفسد العقل الذي هو الجوهرة التي دون قدرها الأثمان بل الدنيا بأسرها لا قيمة لها بجانب هذا العقل العظيم الشأن، ومتى غاب عقل المدمن نسي ربه، فترك الصلاة، وقد يقتل، وقد يزني ويقع على محارمه، بل قد يسب الدين، عياذاً بالله.

فشارب المخدرات مفسد لدينه وبدنه، جانٍ على نفسه وأسرته ومجتمعه، عابثٌ بكرامته، وجوهر إنسانيته، ساعٍ إلى الإثم والعدوان، معرض لإتلاف المخ، وتدمير المراكز العصبية لدى الإنسان، فيصبح شخصًا معتلاً، شبحًا مخيفًا، مشوش التفكير، قلقًا غير متوازن، وتقل قواه العقلية فيهذي بما لا يدري، ويُصاب بالهلوسة والهستريا فتسوءُ علاقته مع أسرته ومجتمعه، وتراه في الغالب إما سجينًا أو محجوزًا بإحدى المستشفيات النفسية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فليحكم الإنسان عقله ولينظر في مصلحته ولحفظ صحته وليتدبر إرشادات ربه أرحم الراحمين القائل: «وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا » (النساء: ٢٩- ٣٠).

ثالثا: كثيرًا ما يسيرُ الإنسان في الطريق الذي لا يهواه نزولاً على رغبة صاحبه، والدليل من الواقع أنه لو صاحب رجل غير مدمن رجالاً مدخنين مثلاً- لرأيته بعد أيام قليلة من جملتهم، ولنا في ذلك إطلالتان على أهل الجنة وأهل النار، قال الله تعالى عن أهل الجنة: « فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ » (الصافات: ٥٠- ٥٧)، وهكذا نجى الله ذلك المؤمن من كيد قرينه، وربط الله على قلبه، «والله يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً، وذلك المؤمن مثال لمن يعصمهم الله عز وجل بفضله.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي». (صحيح الجامع: ٧٣٤١).

لا تصاحب إلا من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرك، فيتعين على طالب التغير- وهو في بداية الطريق- أن يقطع علاقاته بأهل الفساد والغواية، لأنه إن استمر معهم لم يكن صادقًا في توجهه نحو التغير، وحتى إن لم يشاركهم في منكرهم شاركهم في الإثم بالجلوس معهم، قال الله تعالى: « وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ » (النساء: ١٤٠)، وأيضا الاستمرار في مخالطة أهل الشر والفساد يؤدي إلى الانتكاس والعودة إلى الماضي السيئ، وكم من شاب انتكس بسبب حنينه إلى صحبته القديمة.

رابعًا: سؤال الله الهداية: قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم». (مسلم: ١٨٢٨).

والمعنى: «فاستهدوني» اطلبوا مني الهداية، وذلك شامل للهدايتين التوفيق والدلالة، وهداية الدلالة تكون باتباع الوسائل التي جعلها الله عز وجل سببًا للعلم، وقوله: «أهدكم» يعني: أوصلكم وأدلكم على طريق الفلاح.

خامسًا: أن تسأل الله الثبات: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». (صحيح الجامع: ٧٩٨٧). وتصبر وتصابر فإن عملية التغيير ليست بالأمر اليسير، فإنها ميلاد جديد وحياة بعد موت وسعادة بعد تعاسة وعز بعد ذل، عز الطاعة بعد ذل المعصية، وفرح بعد ترح، « قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » (يونس: ٥٨).

وأخيرًا: وإنني أناشد كل مسئول أن يتحمل مسئوليته تجاه دينه ومجتمعه وبلاده، وأن يكون عينًا ساهرة على جلب المصالح المجتمعة، ودرء المفاسد عن بلاده، وذلك بالقضاء على هذا الوباء العضال، كما أن على وسائل الإعلام- مرئيها ومسموعها ومقروئها النصيب الأكبر من تبصير الأجيال بخطورة المخدرة كما سبق وحسبهم قوله صلى الله عليه وسلم: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيرًا لك من حُمر النعم». (متفق عليه).

والله الهادي إلى سواء السبيل.

دراسات قرآنية



الأمثال في القرآن

مثل الذين كفروا بربهم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو في قوله تعالى: «مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» (إبراهيم:١٨).

إعداد/ مصطفى البصراتي

المعنى الإجمالي:

قال ابن كثير في تفسيره: «هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح، فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها، فقال تعالى: «مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ» (إبراهيم:١٨) أي: مثل أعمالهم يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء، فلم يجدوا شيئًا، ولا ألفوا حاصلاً إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة (في يوم عاصف) أي: ذي ريح شديدة عاصفة قوية فلم يقدروا على شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم، كقوله تعالى: «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا» (الفرقان:٢٣)، وقوله تعالى: «مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (آل عمران:١١٧)، وقوله تعالى في هذه الآية: «ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» (إبراهيم:١٨)، أي: سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه، «ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» (إبراهيم:١٨). (صحيح تفسير ابن كثير ٥٢٦/٢).

معاني المفردات:

«مثل»: المثل: الحالة العجيبة، أي: حال الذين كفروا العجيبة أن أعمالهم كرماد.. إلخ.

«أعمالهم»: الصالحة كالصدقة، وصلة الأرحام وفك الأسير، وإقراء الضيف وبر الوالدين، ونحو ذلك أو عبادتهم الأصنام في عدم الانتفاع بها، أو الأعمال التي أشركوا فيها غير الله تعالى.

«كرماد»: والرماد ما يبقى من احتراق الحطب والفحم، وجمعه في الكثرة على رُمُد، وفي القلة على أرمُد.

«اشتدت به الريح»: حَملتْهُ بشدةٍ وسرعةٍ فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيئًا.

«في يوم عاصف»: العصف شدة الريح وصف به زمانها مبالغة؛ كما يقال يوم حار ويوم بارد، والبرد والحر فيهما لا منهما، ووجه الشبه أن الريح العاصفة تطير الرماد وتفرّق أجزائه بحيث لا يبقى له أثر، فكذلك كفرهم أبطل أعمالهم

وأحبطها بحيث لا يبقى لها أثر.
وجملة: «لا يقدرون مما كسبوا على شيء» بيان لجملة التشبيه أي ذهبت أعمالهم سدى فلا يقدرون أن ينتفعوا بشيء منها.
وجملة: «ذلك هو الضلال البعيد» تذييل جامع لخلاصة حالهم، وهي أنها ضلال بعيد، ومعنى «ذلك» أي: ما دل عليه التمثيل من هذا البطلان لأعمالهم وذهاب أثرها، والمراد بالبعيد البالغ نهاية ما تنتهي إليه ماهيته، أي بعيد في مسافات الضلال فهو كقولك: أقصى الضلال. (المعاني مستفادة من فتح البيان لصديق خان، والتحرير والتنوير لابن عاشور بتصرف).

التفسير التفصيلي:

قال جل شأنه: «فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» (الكهف: ١١٠).
أما من كفر بالله وأعرض عن ذكره، فإنه يأخذ ثواب عمله في دنياه وليس له في الآخرة من نصيب.
وقد ضرب الله هذا المثل يبين فيه حال الذين كفروا يوم القيامة، ويكشف عن خيبة آمالهم وبطلان أعمالهم وسوء مآلهم.
فجعل مثلاً لأعمالهم كرماد حملته الرياح بشدة في يوم عاصف، أي: ذي ريح عاصفة قوية لا تبقي ولا تذر.
فإذا كانوا يقدرون على كل شيء مما كسبوه في حياتهم الدنيا، فإنما يكون حالهم كحال من جمع رمادًا في أرض فضاء فهبت عليه الريح العاصفة من كل صوب وحدب، فطيرته في الجو هباء لا تراه عين، ولا تستنشقه الأنوف. (كتاب الأمثال القرآنية ص١٤٤، لمحمد بكر إسماعيل، بتصرف).

فوائد الآية:

الأولى: دخلت أداة التشبيه على الذين كفروا بينما نجد الأعمال هي المشبهة، ليشمل التشبيه الأعمال وأصحابها.
والمعنى: صفة الذين كفروا في انتظار الجزاء على أعمالهم ورجاء الحصول عليها، ليسعدوا بها، فإذا هم يرون أنفسهم مفلسين عاجزين عن تحصيل ذرة من أعمالهم، وعن تحقيق أي شيء من آمالهم- كرماد... إلخ.
فلفظ «مثل»- كما قال سيبويه- مبتدأ خبره مضمر تقديره: فيما يتلى عليكم أو يقص عليكم «مثل الذين كفروا بربهم»، ثم ابتدأ فقال: «أعمالهم كرماد»، وقال الزجاج: أي: مثل الذين كفروا فيما يتلى عليكم أعمالهم كرماد.
الثانية: شبّه الحق سبحانه وتعالى أعمالهم بالرماد لخفته وخسته وعدم نفعه غالبًا، ولما فيه من إيحاء بالنار التي يتخلف عنها فهو لفظ يشعر بتشاؤم الكفار من سوء المنتظر.
الثالثة: قوله تعالى: «ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ» (إبراهيم:١٨) معناه- كما في لسان العرب- أسرعت وعدت، فإذا كانت الرياح عاصفة والرماد خفيفًا، فماذا يبقى منه بعد اشتدادها به؟
الرابعة: في وصف اليوم بالعاصف مبالغة في الشدة والسرعة، وهذا كقوله تعالى: «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ» (الذاريات:٥)؛ حيث أسند الصدق لما يوعدون به، والمعنى: لذو صدق، وهكذا يقال في قوله جل شأنه: «في يوم عاصف» أي: ذو ريح عاصفة أو ذوي عاصفة، بمعنى: أن العصف يقع فيه.
الخامسة: في قوله تعالى: «لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ» (إبراهيم:١٨)، ففي هذه الفقرة من الآية إبراز لما ينطوي عليه المثل، فالمثل يضرب ثم يطوى ليكشف عن المراد من ضربه لتتضح المعاني أكمل اتضاح.
فالمثل يفيد أن أعمال الكفار باطلة كلها، ليس لهم عليها ثواب، فمهما اعتذروا فلن يُقبل عذرهم، فهم إلى النار وبئس القرار، وما كسبوه في الدنيا من عمل لا يقدرون على تحصيل شيء من ثوابه البتة، ولفظ الكسب يدل على العمل النافع الذي عملوه في الدنيا- وقد نفعهم في الدنيا- فهي دار جزائهم، ولكن لا ينفعهم في الآخرة، لفقدان شرط صحته وهو الإيمان.
السادسة: في قوله تعالى: «ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ» (إبراهيم:١٨)، توكيد لمضمون الآية كما هو الشأن في خواتيم الآيات، فأي ضلال أبعد عن التعقل وأوغل في السفه من الكفر بالله عز وجل وتوجه القلوب إلى غيره في العبادة والدعاء؟
السابعة: هذا المثل بمثابة حثّ للمؤمنين على الإنفاق، وتحذيرهم من أن يُتبعوا ما أنفقوا شيئًا مما يبطل أجره وثوابه، وأن ما ينفقونه إنما هو ذخر لهم، ينتفعون به غاية النفع، أحوج ما يكون إليه.

أخطاء الآباء في تربية الأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: نتابع في هذا العدد الحديث عن أخطاء الآباء والأمهات والمعلمين والمربين في تربية الصغار، فنقول:

إعداد/ جمال عبد الرحمن

رابعا: عدم العدل بين الأولاد:

يتعامل الآباء أحيانًا مع أولادهم بدون عدل فيفضلون طفلاً على طفل، لذكائه أو جماله أو حسن خلقه الفطري، أو لأنه ذكر، مما يزرع في نفس الطفل الإحساس بالغيرة تجاه إخوته، ويعبر عن هذه الغيرة بالسلوك الخاطئ والعدوانية تجاه الأخ المدلل بهدف الانتقام من الآباء، وهذا الأمر حذرنا منه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: عليه الصلاة السلام «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم».

- قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (النحل: ٩٠).

- وقال تعالى: «وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الأنعام: ١٥٢).

وأما الأدلة على العدل من السنة المطهرة فإليكم طرفا منها:

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» (أخرجه مسلم واللفظ له والنسائي).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى وصية حاف في وصيته فيختم له بشر عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله، فيدخل الجنة» قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم «تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (النساء: ١٣- ١٤) «(أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب).

٣- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن أمه عمرة بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وهبت لابني، فأخذ أبي بيدي، وأنا غلام

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله إن أم هذا، بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، فقال: « أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: « فلا تشهدني إذاً، فإني لا أشهد على جور » (أخرجه مسلم).

٤- وعند البخاري والنسائي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فكل بنيك نحلت مثل الذي نحلت النعمان؟ قال: لا، قال: فأشهد على هذا غيري، قال: « أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذاً » مسند أحمد (٣٢٩/٣٠)

٥. عند ابن حبان والبيهقي: « اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر » ونحوها عند الطحاوي. انظر في التوفيق بين رواياته « الفتح » ٢١٢/٥ حديث صحيح (١٧٢).

٦- قال صلى الله عليه وسلم: « اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم » (أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني).

٧- وفي صحيح مسلم أن امرأة بشير قالت له: انحل ابني غلاماً وأشهد لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن ابنة فلان سألتني أن أنحل ابنها غلاماً، قال: « له أخوة »، قال: نعم، قال: « أفكلهم أعطيت مثل ما أعطيته؟ » قال: لا، قال: « فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق ».

٨- وقال الحسن: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه، في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلاً، فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فهلا على فخذك الأخرى »، فحملها على فخذه الأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: « الآن عدلت ».

٩- وروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ضم ابناً له، وكان يحبه، فقال: يا فلان، والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقمة. (إسناده مقبول).

١٠- ويهيمن على كل تلك الأدلة هذا الدليل العظيم الخطورة، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة » (متفق عليه).

ومن لم يعدل بين أولاده أو يساوي بينهم بالمعروف وبالحق والقسطاس المستقيم، فقد نكب عن جادة الصواب، وغالط نفسه، ولم يأبه بالأدلة، فهو غاش لأولاده، وظالم في عدم التسوية بينهم. فهو مستحق للعقوبة والعياذ بالله.

لا بد من التسوية والعدل في العطية بين الرجال والنساء؛ للذكر مثل حظ الأنثيين كالارث، ولا يوصي لهم أيضاً.

لابد أن يكونوا سواء في العطية، لا يخص أحداً دون أحد، ولو كان بعضهم أبرّ به أو فقيراً، فإنه يجزيه حقه الذي كتبه الله له من الارث، لكن النفقة لا بأس إذا كان عنده عيال صغار ينفق عليهم، وكبار-مغنيهم الله من فضله- لا ينفق عليهم، النفقة واجبة عليه على الصغار الفقراء، أو على غيرهم من الفقراء، إذا كان أولاده بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، يجب أن ينفق على الفقراء حتى يغنيهم الله، ولا في هذا تعديل؛ لأن هؤلاء نفقتهم واجبة لفقرهم.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: المجموعة الأولى-٢٢٥/١٦ ـ السؤال الخامس من الفتوى رقم: ٢٠٣٢١ـ س٥: لي ولدان: أحدهما بار بي وبوالدته والآخر عاق لي ولوالدته، وأريد أن أهب جميع ما أملكه من عقار وأطيان لابني البار، مع حرماني لأخيه العاق، فما حكم الدين في ذلك؟

ج٥: لا يجوز للوالدين التفضيل في العطية بين أولادهما، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ـ ولأن ذلك يسبب الحسد والحقد والبغضاء والشحناء والقطيعة بين الإخوة، وكل ذلك يتنافى مع مقاصد الشريعة المطهرة التي جاءت بالحث على التآلف والترابط والتواد، والتعاطف بين الأقارب والأرحام، والواجب على الوالدين استصلاح أولادهما العاقين بطرق لا تشتمل على مفاسد في العاجل والآجل في حياة الأسرة، مع كثرة الدعاء لهم بالاستقامة والصلاح، والله

المستعان. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله: هل يفضّل بينهم باعتبار البرّ؟ يعني إذا كان أحدهما أبر من الآخر، فقال: سأعطي البارّ أكثر مما أعطي العاق تشجيعاً للبارّ وحثاً للعاق، فهذا لا يجوز، لأن البر ثوابه أعظم من دراهم تعطيه إياها، فالبر ثوابه عند الله - عزّ وجل - ولا تدري فلعل البار اليوم يكون عاقاً بالغد، والعاق اليوم يكون باراً بالغد، فلا يجوز أن تفضله من أجل برّه. اهـ

أما إذا أعطى بعض ولده لحاجته ومنع بعضهم لفسقه وكونه يستعين به على المعاصي فلا حرج في ذلك، قال ابن قدامة: فإن خصّ بعضهم لمعنى يقتضي تخصيصه مثل اختصاصه بحاجة أو زمانة أو عمى أو كثرة عائلة أو اشتغاله بالعلم أو نحوه من الفضائل أو صرف عطيته عن بعض ولده لفسقه أو بدعته أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها، فقد روي عن أحمد ما يدل على جواز ذلك؛ لقوله في تخصيص بعضهم بالوقف: لا بأس به إذا كان لحاجة وأكرهه إذا كان على سبيل الأثرة، والعطية في معناه. اهـ

كيفية العدل بين الأولاد:

اختلف العلماء في ذلك على قولين، فمنهم من يرى أن العدل المطلوب هو التسوية بين الذكر والأنثى في العطية بينما يرى أصحاب القول الآخر أن تكون العطية على قدر ميراث الأولاد للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا القول الراجح - والله أعلم-؛ وذلك قياساً على قسمة الله تعالى في الميراث، وتسوية الأنثى بالذكر مخالفة لما وضعه الشرع من التفضيل، وهو أعلم بمصالحنا؛ ولأن حاجة الذكر إلى المال أعظم من حاجة الأنثى. وما قيل في وجوب العدل بين الأولاد، وأنه يكون على حسب ميراثهم، يقال في قسمة منفعة الوقف بينهم.

ولا يجب على الوالد التسوية في النفقة والكسوة والسكنى، بل الواجب الإنفاق على المحتاج كل فيما يخصه حسب كفايته وحاجته؛ لأنها إنما شرعت لدفع الحاجة، وهذا في الحاجة المعتادة، أما في الحاجة غير المعتادة فإنه يكون بالمعروف، فإذا زاد عن المعروف فهو من باب النُحل.

حكم العدل بين أولاده في الأمور غير المالية:

ذهب جماهير أهل العلم على أن العدل بين الأولاد مطلوب حتى في الأمور غير المالية، والتي تدل على التفضيل كتقريب بعضهم في المجلس أو تخصيصه بالكلام من غير حاجة، أو تخصيص بعضهم فيما إذا كانوا صغاراً بالتقبيل، لما ينجم عن التفضيل من العداوة وقطيعة الرحم بينهم وبين والديهم.

العدل بين الأولاد في المحبة وميل القلب مما لا يجب؛ لأنه غير مستطاع، لكن ينبغي للوالدين إخفاء محبة البعض، لما ينجم عن إظهارها من المفاسد العظيمة الوخيمة.

حكم قسمة المال بين الأولاد في الحياة وكيفيته:

الراجح - والله أعلم - جواز قسمة المال بين الأولاد في الحياة مع الكراهة، وأن القسمة تكون حسب قسمة المواريث، غير أن الأولى ترك ذلك.

إذا ولد لمن قسم ماله في حال حياته، فإنه يجب عليه أن يسوي بينهم ليحصل التعديل، وإن ولد بعد موته، شُرع لمن أُعطي أن يساوي المولود الحادث بعد أبيه.

أثر عدم العدل بين الأولاد:

وقد رأينا في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام من باريه، أن إخوة يوسف لما ظنوا بتفضيل أبيهم ليوسف وأخيه، حدث ما بسببه عمي بصر أبيه.

وقد قص الله ذلك في كتابه فقال عز ذكره:

«لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ». (سورة يوسف: ٧- ١٠).

«إذْ قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إلى أَبِينا منّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ».. أي: ونحن مجموعة قوية تدفع وتنفع.. «إنَّ أبانا لَفي ضَلال مُبين».. إذ يؤثر غلاما وصبيا صغيرين على مجموعة الرجال النافعين الدافعين! ثم يغلي الحقد ويدخل الشيطان، فيختل تقديرهم للوقائع، وتتضخم في حسهم أشياء صغيرة، وتهون أحداث ضخام. تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح. روح غلام بريء لا يملك دفعاً عن نفسه، وهو لهم أخ. وهم أبناء نبي فوقع منهم ما حكته السورة الكريمة .

نسأل الله أن يبارك لنا في أزواجنا وأبنائنا وأن يسعدنا في بيوتنا، ويبارك لنا في ذرياتنا، ويختم بالباقيات الصالحات أعمالنا؛ إنه جواد كريم.

قصة موت النبي صلى الله عليه وسلم في حِجْر علي رضي الله عنه

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٩٩)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت خاصة في هذه الأيام، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

لقد قام شيعي ضالٌ مُضِلٌ على إحدى القنوات الفضائية الشيعية المشهورة ليلة الجمعة ٣ ربيع الأول ١٤٣٨هـ، ولا يهمنا ذكر اسم هذا الرافضي ولا ذكر اسم القناة بقدر ما يهمنا بيان حقيقة هذه القصة؛ فشعارنا في هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية» (بيننا وبين القوم القوائم لا الشتائم).

وما كنا لنرد على إفك هؤلاء الشيعة فقد امتلأت كتبهم بالكذب والضلال المبين لولا أن هذا الشيعي جاء إلى القناة بكتب السنة الأصلية ليقرأ منها هذه القصة على الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ليسلب هذا الشيعي بخبثه وضلاله منقبة من أعظم المناقب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الصدِّيقة بنت الصدِّيق، خاصة أن كثيرًا من الناس لا يفرِّقون بين التخريج والتحقيق، فيُخيل لهم من إفكهم أنها صحيحة، ولكن هيهات هيهات لما يقولون.

ثانيًا: المتن:

رُوِيَ عن أبي غَطفان قال: «سألت ابن عباس: أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حجر أحد؟

قال: توفي وهو لمستند إلى صدر عليٍّ.

قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرِي ونَحْرِي؟».

فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لمستند إلى صدر عليٍّ!! وهو الذي غسَّله، وأخي الفضل بن عباس وأَبَى أبي أن يحضر، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نستتر، فكان عند الستر. اهـ.

ثالثًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٣٨٠) قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني سليمان بن داود بن الحصين، عن أبيه، عن أبي غطفان قال: سألت ابن عباس: أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في حجر أحد؟.. القصة.

رابعًا: التحقيق:

هذه القصة واهية والخبر الذي جاءت به القصة موضوع، وعلته محمد بن عمر.

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٧/٩٧/٦٠٩٠): «محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي، أبو عبد الله المدني، قاضي بغداد، روى عنه كاتبه محمد بن سعد وآخرون.

٢- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٣٤): «محمد بن عمر الواقدي (قاضي بغداد متروك الحديث)». اهـ.

قلت: وهذه العبارة «متروك الحديث» من البخاري تدل على الضعف الشديد يتبين ذلك من قول الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص٤٨): «أما قول البخاري: «سكتوا عنه» فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، وعلمنا مقصده بها بالاستقراء: أنها بمعنى تركوه». اهـ.

قلت: فكيف لو قال في الراوي متروك؟

٣- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٣١): «محمد بن عمر الواقدي: متروك الحديث».

قلت: ومصطلح متروك عند الإمام النسائي له معناه، وهذا أمرٌ له أهميته في الصناعة الحديثية؛ حيث قال الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص٤٨):

«ثم أهم من ذلك أن تعلم بالاستقراء التام عُرف ذلك الإمام الجهبذ واصطلاحه، ومقاصده بعباراته الكثيرة».

ولقد بيّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) قال: «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٤- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/١٦٢/٧٩٩٣) أن الإمام أحمد بن حنبل قال: «محمد بن عمر الواقدي هو كذاب يقلب الأحاديث»، وقال ابن معين: «ليس بثقة»، وقال البخاري وأبو حاتم: «متروك»، وقال أبو حاتم أيضًا والنسائي: «يضع الحديث»، وقال ابن عدي: «أحاديثه غير محفوظة، والبلاء منه»، وقال ابن المديني: «الواقدي يضع الحديث». اهـ.

خامسًا: الاستنتاج

قلت: نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن محمد بن عمر الواقدي «متروك، ليس بثقة، كذاب، يضع الحديث، يقلب الأحاديث، أحاديثه غير محفوظة، والبلاء منه».

من أجل هذا يصبح هذا الخبر من نوع الموضوع بتطبيق قول الحافظ في «النخبة» (ص٤٣): «إن كان الطعن لكذب الراوي فهو الموضوع».

قلت: أما عن حكم روايته:

قال السيوطي في «التدريب»: «يحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء في الأحكام أو القصص أو الترغيب وغيرها إلا مع بيان وضعه لحديث مسلم: «من حدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». اهـ.

قلتُ: فالخبر موضوع والقصة واهية.

فائدة: قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤١/٦) (١٧١٩/٩٨): «الواقدي أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه». اهـ.

قلتُ: ومع أن البلاء منه؛ فشيخه سليمان بن داود بن الحصين قال فيه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧٤٦/٧): «لا يُعرف حاله»، لذلك أورده الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١١١/١/٢) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً.

سادسًا: الواقدي والمقلوبات:

لقد بينا آنفًا أن الإمام الحافظ ابن أبي حاتم أخرج في «الجرح والتعديل» عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: «كان الواقدي يقلب الأحاديث»، وهذا الوصف أقره الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه فقال: «كما وصف وأشد؛ لأنه عندي ممن يضع الحديث». اهـ، ولقد بينا آنفًا أن الإمام الذهبي نقل «الميزان»: أن الإمام أحمد بن حنبل قال: «محمد بن عمر الواقدي هو كذاب يقلب الأحاديث». اهـ.

ثم نقل عن الإمام الثقة الثبت علي بن المديني أعلم أهل عصره بالحديث وعلله قال: «الواقدي يضع الحديث». اهـ.

قلتُ: هذه أقوال أئمة الجرح والتعديل الذين عاصروا الواقدي.

١- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٩٤/٢): «محمد بن عمر بن واقدي الأسلمي الواقدي: المدني القاضي، نزيل بغداد، متروك، مات سنة سبع ومائتين وله ثمان وستون». اهـ (١٣٩- ٢٠٧هـ).

٢- وقال في «التقريب» (٥٤/١): «إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ثقة حافظ قرين أحمد بن حنبل، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله اثنان وسبعون». اهـ (١٦٦- ٢٣٨هـ)، نقل الذهبي في «التذكرة» (٤٣٥/٢) أن أحمد بن حنبل قال: «إسحاق لم يلق مثله».

٣- وقال في «التقريب» (٢٤/١): «أحمد بن حنبل أحد الأئمة ثقة حافظ فقيه حجة نزيل بغداد مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبعون سنة». اهـ (١٦٤- ٢٤١هـ).

وقال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤٣٦/٤٢٨/٢): علي بن المديني حافظ عصره وقدوة أرباب هذا الشأن أبو الحسن ولد سنة إحدى وستين ومائة، ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين». اهـ (١٦١- ٢٣٤هـ).

قلتُ: قد يستخف من لا دراية له بالصناعة الحديثية بهذه التواريخ والوفيات، ولكن من الحديث صناعته يعلم أهميتها؛ فهي من أهم أنواع علوم الحديث فقد ذكرها الإمام السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/٢) النوع (٦٠) قال: «التواريخ والوفيات هو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنظر في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنتين». اهـ.

قلتُ: فهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل من الذين عاصروا محمد بن عمر الواقدي كما هو مبين من

التواريخ والوفيات، وتبين أنه كذاب يقلب الأحاديث يضع الحديث.

سابعًا: بيان أن هذا الخبر من المقلوبات والموضوعات:

الواقدي يقلب الأحاديث؛ لأنه كذاب وضاع كما بينا، فنجده في هذا الخبر يقلب حديث عائشة في موت النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه بين نحرها وسحرها، ويلقي به فيجعله عن عليٍّ بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم توفي وانه لمستند إلى صدر عليٍّ.

بل ومن كذب الواقدي ووضعه الذي يقلب به الحديث أن جعل لأبي غطفان في هذا الحديث سندين مخرجهما واحد: «الواقدي عن سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه».

١- فقد أخرج محمد بن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٨٠) وهو كاتب الواقدي قال: أخبرنا محمد بن عمر الواقدي حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن أبي غطفان قال: سألت ابن عباس: أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدري عليّ.

٢- قلت: انظر بعد ذلك إلى الكذب والوضع في هذا الحديث بنفس المخرج فيأتي بسند ليقلب حديث عائشة: فبنفس المخرج إلى أبي غطفان، قال أبو غطفان لابن عباس: «إن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري».

٣- فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لمستندٌ إلى صدر عليٍّ، وهو الذي غسله وأخي الفضل بن عباس، وأبى أبي أن يحضر، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نستتر فكان عند الستر». اهـ.

قلتُ: وفي ذلك برهان على أقوال أئمة الجرح والتعديل والتي أوردناها آنفًا: أنه كذاب يقلب الأحاديث ويضع الحديث.

ثامنًا: مخالفة هذا الحديث الموضوع للمتفق عليه:

لقد تبين أن الخبر الذي جاءت به قصة موت النبي صلى الله عليه وسلم في حجر علي كما بوب ابن سعد كاتب الواقدي في كتابه «الطبقات» أنه خبر موضوع، وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في موته، وأن ابن عباس بريء من كذب الواقدي.

١- فقد ثبت في «صحيح البخاري» (ح٤٤٤٩): «مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْد عيسَى بْنُ يُونُس عَنْ عُمَر بْنِ سَعيد قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَة أَنَّ أَبَا عَمْرو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائشَة أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائشَة كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ منْ نعَم اللَّه عَلَيَّ أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم تُوُفِّيَ فِي بَيْتي وَفِي يَوْمي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقي وَرِيقه عنْدَ مَوْته؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَن وَبِيَده السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْندَةٌ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْه، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ برَأْسه أَنْ نَعَمْ. فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْه، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ، فَأَشَارَ برَأْسه أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْه رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ-يَشُكُّ عُمَرُ- فيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخلُ يَدَيْه فِي الْمَاء فَيَمْسَحُ بهمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ للْمَوْت سَكَرَات، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفيق الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ». اهـ. وهناك سند آخر يدل على كذب الواقدي.

٢- فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (ح٤٤٥٠) قال: «حدَّثنا إسماعيل: قال: حدثني سليمان بن بلال، حدثنا هشام بن عروة، أخبرني أبي عَنْ عَائشَة قَالَتْ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ أَبِي بَكْر وَمَعَهُ سوَاكٌ يَسْتَنُّ به، فَنَظَرَ إِلَيْه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطني هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَن، فَأَعْطَانيه، فَقَصَمْتُهُ ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَاسْتَنَّ به وَهُوَ مُسْتَسْندٌ إِلَى صَدْرِي».

وهناك سند آخر يدل على كذب الواقدي:

٣- فقد أخرج البخاري في «صحيحه» (ح٤٤٥١) قال: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي- ثم ذكرت قصة السواك- ثم قالت: فَدَفَعْتُهَا إِلَيْه فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَن مَا كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاوَلَنيهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ أَوْ سَقَطَتْ منْ يَده، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقي وَرِيقه فِي آخر يَوْم منْ الدُّنْيَا وَأَوَّل يَوْم منْ الْآخرَة.

٤- والحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح٢٤٤٣) من حديث عائشة قالت: «فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري». اهـ.

٥- والحديث أخرجه أيضًا مسلم في «صحيحه»

(ح٢٤٤٤) قال: «حدثنا قتيبة بن سعد، عن مالك بن أنس فيما قُرئ عليه، عن هشام بن عروة، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عَائِشَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأعلى». اهـ.

قلتُ: والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٢/٦) (ح٢٤٠٨٥)، (٤٨/٦) (ح٢٤٢٦٢)، (٦٤/٦) ح(٢٤٣٩٩)، (٧٤/٦) ح(٢٤٤٩٨) (٢٣١/٦) (ح٢٥٩٨٩).

قلتُ: وبتحليل طرق حديث عائشة التي جمعنا بعضها والتي لا تتسع المساحة المتاحة لذكرها يتبين:

أ- أن حديث عائشة متفق عليه فهو في أعلى درجات الصحة في إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في بيتها وبين سحرها ونحرها، وهو مسند إلى صدرها، وجمع الله بين ريقها وريقه صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

ب- وعروة بن الزبير من كبار التابعين وثقاتهم روى هذا الحديث عن عائشة وتابعه جماعة من الثقات عن عائشة، فالحديث متفق عليه ومشهور عن عائشة، ورواه عن عروة جمع من الثقات فهو مشهور أيضًا شهرة نسبيه عن عروة.

تاسعًا: الشيعة وأثرهم السيئ:

إن نفي هذه المنقبة عن الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها وإثباتها لعلي رضي الله عنه إنما هو من صنع الكذابين من الشيعة أو من يساندهم.

١- قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧٥٤/٧): «وَفِي رِوَايَة ذَكْوَانَ عَنْ عَائِشَة " تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْن سَحْرِي وَنَحْرِي، وَإِنَّ اللَّه جَمَعَ رِيقِي وَرِيقه عِنْد مَوْته فِي آخِر يَوْم مِنْ الدُّنْيَا"، وَالسَّحْر هُوَ الصَّدْر، وَالنَّحْر مَوْضِع النَّحْر. وَالْمُرَاد أَنَّهُ مَاتَ وَرَأْسه بَيْن حَنَكهَا وَصَدْرهَا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهَا». اهـ.

٢- ثم قال الحافظ: وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق «أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ورأسه في حجر علي». ثم قال: «وكل طريق منها لا يخلو من شيعي فلا يلتفت إليهم». ثم قال:

٣- وقد رأيت بيان حال الأحاديث التي أشرت إليها دفعًا لتوهم التعصب.

١- قال ابن سعد «ذكر من قال توفي في حجر علي».

أ- وساق من حديث جابر: سألت كعب الأحبار عليًا ما كان آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم فقال: أسندته إلى صدري، فوضع رأسه على منكبي..» الحديث. قال الحافظ: «وفي سنده الواقدي وحرام بن عثمان وهما متروكان». اهـ. قلتُ: ولقد بينا آنفًا من أقوال الأئمة أن الواقدي كذاب، يضع الحديث، ويقلب الأحاديث.

ب- ثم قال الحافظ: وعن الواقدي عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعوا إلى أخي، فدُعي له عليٌّ فقال: ادن مني، قال: فلم يزل مستندًا إليَّ وإنه ليكلمني حتى نزل به ونقل في حجري.. الحديث.

قال الحافظ: «فيه انقطاع مع الواقدي وعبد الله فيه لين». قلت: وكما بينا آنفًا عن ابن عدي: «أن البلاء من الواقدي» وهو كذاب وضاع.

جـ- قال الحافظ: وبه عن أبيه عن علي بن الحسين: «قُبض ورأسه في حجر عليٍ». وفيه انقطاع مع الواقدي أيضًا.

د- قال الحافظ: وعن الواقدي عن أبي الحويرث عن أبيه عن الشعبي قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي. وفيه الواقدي والانقطاع وأبو الحويرث اسمه عبد الرحمن بن معاوية. قال: مالك ليس بثقة وأبوه لا يعرف حاله.

م- ثم ذكر حديث أبي غطفان الذي رواه ابن سعد عن الواقدي وهو حديث القصة الواهية.

ن- ثم قال: أخرج الحاكم في «الإكليل» من طريق حبة العدني عن علي: أسنده إلى صدري فسالت نفسه. وحبة ضعيف.

قلتُ: حبة هو العرني بالراء وليس بالدال وهو تصحيف، فقد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٦٨٨/٤٥٠/١): «حبة بن جوين العرني الكوفي عن علي، من غلاة الشيعة، قال الجوزجاني: غير ثقة، وعن يحيى بن معين غير ثقة». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

دحض شبهات الأشاعرة في ردهم صفات الله تعالى الفعلية والاختيارية

الحلقة (٣١)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى ما سبق أن بيّنا، فإن منشأ تعطيل الباري لصفات أفعاله لدى الأشاعرة، هو لازم كلامهم عن متعلقات صفات المعاني.. فهم حين تكلموا عن صفات المعاني من حيث تعلقاتها، وذكروا أن منها: ما يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات وهم صفتا (العلم) و(الكلام)، ومنها: ما يتعلق بالممكنات وهي صفتا (القدرة) و(الإرادة)، بدا عوارُ كلامهم وتناقضه.. ذلك أنهم قصدوا بالتعلق: (بيان أن الصفة أمرٌ زائد على قيامها بذاته تعالى وليست لازمة له)، فعند إيجاد الشيء أو إعدامه يتجدد متعلق القدرة، وعند تخصيص أيًا منهما يتجدد متعلق الإرادة..

وهذا الأصل في لازمه: أن يكون التعلق وجودياً يتجدد في المستقبل بتجدد الممكنات، وأن فعل القدرة والإرادة يتجدد بتجدد كل ما هو ممكن كإيجاد الولد مثلاً وإعدامه، وبذا تَثبُت أفعاله تعالى الاختيارية، لكن الأشاعرة ينفون كل ذلك بحجة (حلول الحوادث)، إذ مؤدى كلامهم في إنكار الصفات الفعلية والاختيارية وتعطيلها: أن حدوث المحدثات دليل على قيام الصفات والأفعال بها، وأن كل ما قامت به فهو حادث، فأضحى التعلق لديهم بهذا عدميًا لا حقيقة له، وقد ذكر ذلك الرازي ونص عليه السعد في (شرح المقاصد) ١/٢٣٤، فبَيَّنا أن التعلق نسَبٌ إضافية بين الصفة والمتعلق لا حقيقة لها في الخارج، وهذا لازمه: عدم قيام فعل في ذات الله يتعلق به إيجاد متعلق الصفة، وتعطيل الباري من ثَمَّ عن أفعاله الاختيارية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أ- موقف أهل السنة مما فاه به الأشاعرة من نفيهم صفاته تعالى الفعلية والاختيارية:

وما ذكره متأخرو الأشاعرة، قد نظمه إبراهيم اللقاني بقوله في (جوهرة التوحيد) بعد أن تكلم عن صفات المعاني:

فقدرةٌ بممكن تعلقتْ
بلا تناهي ما به تعلقتْ
ووحدةٌ أوجب لها ومثلُ ذي
إرادة والعلمُ لكن عَمَّ ذي
وعَمَّ أيضاً واجباً والممتنعْ
ومثلُ ذا كلامُه فلنتَّبعْ

كذا بما مفاده - كما في شرح البيجوري على الجوهرة ص٩٠ وما بعدها -: «أن تعتقد أن قدرة الله واحدةٌ لأن تعددها لا يقتضيه معقول ولا منقول، ولأنه لو كان له قدرتان للزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد.. وإرادة الله مثل قدرته في: تعلقها بكل ممكن وعدم تناهي متعلقاتها وإيجاب الوحدة لها.. ومثل القدرة أيضاً في الثلاثة السابقة: (العلم)، لكن عَمَّ العلم ليشمل إلى جانب (الممكنات): (الواجبات والمستحيلات)، ومثل علمه تعالى في عموم تعلقه بالواجبات والجائزات والمستحيلات وفي عدم تناهي متعلقاته، وإيجاب وحدته: كلامه».. وكلٌ هذا رده جماعة أهل السنة من وجوه:

أولها: ما سبق أن أفدناه من كلام الأشاعرة أنفسهم فيما أسموه بـ (الصلوحي القديم) و(التنجيزي الحادث) من أن الحدوث والتعدد والتجدد بهذين الاعتبارين، الأصل فيه ألا يكون ممتنعاً، وألا يطلق عليه أن له تعالى فيه قدرتان، ولا أنه متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة ولا

تكون بمشيئته، ولا أنه حدث له وصف متجدد بعد أن لم يكن.. وكذا ما أفدناه من كلام ابن أبي العز من أن ذلك ثابت بالنقل والمشاهدة وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته، ومن أنه لا يرد عليه أن هذه الأحوال تحدث في وقت دون آخر، فإنك ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالأمس لا يقال: (إنه حدث له الكلام)، وأن الساكت لغير آفة يسمى: (متكلماً) بمعنى أنه يتكلم بما شاء متى شاء.

ثانيها: ما بدا في كلام اللقاني وسائر الأشاعرة من تناقض، إذ «لا يخلو أمر التعلق من أن يكون: وجوديًا، وهو تجدد فعل القدرة والإرادة كقدرته تعالى وإرادته على إيجاد الولد وإعدامه وكذا نزوله إلى السماء الدنيا، فيلزم على هذا: إثباتهم لأفعال لله الاختيارية، وهو عينه ما ينفونه بحجة حلول الحوادث، أو يكون: أمراً عدميًا- وهو ما أشار إليه الرازي والسعد فيما سبق أن ذكرناه لهما – والتعلق بالعدم لا حقيقة له وغير ممكن، ولذا احتالوا عليه وجنحوا بسببه للحديث عن المتعلقات، وهو كما ترى لا يقف على ساق، إذ لازم التعلق والأصل فيه: أن يكون أمراً وجوديًا وأن فعل القدرة والإرادة فيه يتجدد بتجدد كل ما هو ممكن.

ثالثها: أن تخصيص صفات الله بتعلقها بالممكنات والواجبات والمستحيلات، من المسائل المبتدعة في توحيد الصفات، فليست هي في كلام الله ولا كلام رسوله ولا كلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين، بل ليس فيه مزيد علم ولا ثمرة إيمان عند معرفة هل قدرة الله تعلقت بالممكن دون الواجب؟، إذ ثمرة الإيمان أن نؤمن بأن الله قادر مريد سميع بصير كما أثبت ذلك لنفسه.

رابعها: أن حصر هذا التعلقات عند اللقاني وسائر الأشاعرة غير منضبط، فقصر تعلق القدرة والإرادة مثلاً على (الممكنات)، دون (الواجبات) التي هي لديهم: ما لزم لله من الصفات النفسية والسلبية والمعاني، و(المستحيلات) وهي: ما يستحيل على الله من أضداد هذه الصفات، فيه نظر.. ذلك أن الإرادة تتعلق بالواجبات، كإرادته سبحانه الأمر في نحو قوله: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون .. النحل/٤٠)، فهنا الإرادة بقوله سبحانه وصفة كلامه، هي قد تعلقت بواجب، وهو: بعض صفاته، فيكون حصر تعلق الإرادة بالممكن باطل..

وكذلك قدرتُه تعالى على النزول إلى سماء الدنيا واستواؤه على عرشه إلى غير ذلك مما يرونه مستحيلاً، هو في الحقيقة تعلق بواجب وهو الإيمان بصفاته سبحانه التي يرى اللقاني ويقرُّ أنها واجبة وليست بممكنة»إ.هـ بتصرف من كتاب (عقيدة الأشاعرة.. دراسة نقدية لمنظومة اللقاني على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) لحسان إبراهيم ص ٢٠٣، ٢٠٤.

خامسها: أن تقسيم صفات المعاني من حيث تعلقاتها إلى: ما يتعلق بالممكنات وهما صفتا (القدرة والإرادة)، وما يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات وهما (العلم والكلام).. إلخ، غير منضبط أيضاً، ذلك أن مصطلحي (المستحيلات) و(الممتنعات) مترادفان، إذ الأخيرة على ما قيل هي: (التي لا يُتصور وجودها في الخارج وإنما يُقدِّرها الذهن تقديراً)، أو هي على حد قول الغزالي في تهافت الفلاسفة ص ٤٩: (كل ما قدَّر العقل وجوده فلم يمتنع عليه تقديره، سميناه: ممكناً، وإن امتنع سميناه: مستحيلاً)..

وكذا مصطلح (الجائزات) هو مرادف لمصطلح (الممكنات)، على ما أفاده البيجوري في شرحه الفائت على الجوهرة.. وهي على أي حال: مصطلحات «ابتدعها الفلاسفة المنتسبون للإسلام كابن سينا، فالممكن عند ابن سينا: (هو الذي ليس بممتنع أن يكون أو لا يكون، أو الذي ليس بواجب أن يكون وأن لا يكون)، وعرفه الرازي في المطالب العالية ١/٧٢: ٨١ بأنه: (الذي يقبل الوجود ويقبل العدم)، لكن المتكلمين وافقوا الفلاسفة في أن ممكن الوجود في شيء يكون واجب الوجود، وهذا باطل، إذ الممكن هو: (الذي يقبل الوجود والعدم ولا يوجد إلا بموجد يوجده)» ينظر السابق ١٥٥ بتصرف.

سادسها: بل إن حصر الصفات الواجبة بحقه تعالى في العشرين التي ذكرناها في الحلقة الماضية بمسمياتها -والتي عنها يقول اللقاني في كتابه (هداية المريد لجوهرة التوحيد): «هي ما انتهت إليه إدراك القوى البشرية.. ولسنا مكلفين بما لم يَنْصِبْ عليه سبحانه دليلاً يوصلنا إليه»- غير صحيح بالمرة.. ذلك أن ذكر ما يجب لله، هو من خصائصه سبحانه ولا يحق لأحد دونه أن يوجب

له شيئاً لم يوجبه لنفسه، وقد دلنا على جميع صفاته في كتابه وسنة نبيه.

وعليه فحصر (الواجبات) له في عشرين صفة تنكّبٌ عما في الكتاب والسنة، وردٌّ كذلك لما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من صفات ذاته وصفات أفعاله، والحق أن نصوص الصفات التي وردت في الوحيين في إثبات صفاته الفعلية والخبرية من علوه واستوائه على عرشه ورضاه وغضبه ومحبته ووجه ويديه.. إلخ، لا تخفى على ذي لُبٍّ منصف.

سابعها: أن لازم جعل اللقاني وعموم الأشاعرة توقفَ إثبات الصفات على إدراك القوى البشرية: أن يكون العقلُ هو المُثبت لله أسماءه وصفاته، لا ما نص الله عليه ورسوله.. وتلك غاية المخالفة لنصوص الشريعة التي جاءت بتنفيذ أمره وتصديق خبره التي منهما: امتثال ما أوجبه تعالى على نفسه أو سماها أو وصفها به، وإلا فأين قول اللقاني في إدراك العقل لما يجب لله من قوله تعالى: (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير.. الحديد/٤)؟

وهل للعقل استقلالاً من عنده أن يُثبت ما ورد في هذه الآية وما جاء على شاكلتها وما أكثره؟!، والجواب بالنفي: دليل دامغ على أن (منتهى إدراك القوى البشرية) ليست مصدراً لإثبات صفة أو نفي أخرى، ولا لإثبات ما يجب أو يجوز أو يستحيل عليه تعالى، ولا تصلح في الأساس أن تكون لأيٍّ.. ثم إن قول اللقاني وهو من أبرز منظري مذهب الأشاعرة: (لسنا مكلفين بما لم يَنصب عليه سبحانه دليلاً يوصلنا إليه)، ردٌّ للأدلة المتضافرة في صفات أفعاله اللازمة، وإلا فأين نذهب بقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى.. طه/٥).

والاستواء يعدُّ مما أخبر الله به وليست من العشرين صفة التي قال بها اللقاني تبعاً للأشاعرة، ومثل هذا يقال بحق سائر ما أثبته تعالى لنفسه وأثبته له رسوله في مئات النصوص المثبتة لصفات أفعاله.. كما أن في هذا المنهج الذي سلكوه في حصر الواجبات في عشرين صفة: مخالفة صريحة لمنهجهم في أن معرفة الله واجبة بالشرع، ذلك أن التعرف على الله، إنما يكون: من خلال أسمائه وصفاته وهي لا تعرف إلا من خلال الشرع، فكيف نحصر معرفته على أمور لم تثبت بزعمهم إلا بالعقل؟، وما الفرق والحال كذلك بين منهج الأشاعرة ومنهج الفلاسفة ومن تأثر بهم من الجهمية والمعتزلة الذين قالوا بأن معرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل التي هي الأصل، وأن ما عداها - على حد قول القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة ص ٣٦ - «فرع على معرفة الله بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها - يقصد: من أدلة الشرع - على الله كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله، وذلك لا يجوز»؟، كذا زعم!.. وحسبنا في رد كل هذا قول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في معتقده: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث».

ب- المزيد من دحض منهج الأشاعرة في إثباتهم بعض الصفات على حساب بعضها الآخر:

ثامنها: أنا إذا ما تتبعنا منهج الأشاعرة في الإقرار بسائر الصفات العشرين التي أثبتوها على حساب ما لم يثبتوه من صفات أفعاله، لوجدنا العجب، فقول الأشاعرة عن معنى الصفة النفسية (الوجود) بأنها: «صفة ثبوتية يدل الوصفُ بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها»، ووصفهم الله بـ (الموجود) أو بـ (واجب الوجود)، تقرير لما لم يأت به الكتاب ولا السنة، وأهل السنة على أن هذه الإطلاقات وإن جاز الإخبار بها عن الله كونها معلومة من الدين بالضرورة، إلا أنه لا يجوز أن نسميه أو نصفه بها، ذلك لـ «أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الإخبار عنه كـ (القديم والشيء والموجود والقائم بنفسه) لا يجب أن يكون توقيفياً.

وهذا هو فصل الخطاب» على ما ذكر ابن القيم في بدائع الفوائد ٢٨٥/١، وسر ذلك كما قال قبلها: «أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى، أوسع مما يدخل في باب أسمائه الحسنى وصفاته العليا».. وما من شك أن وصف الله بنحو: (الغني) و(القيوم) أوفى وأكفى، وأتم وأكمل من وصف (الوجود) أو (واجب الوجود) الذي لم يصف به تعالى نفسه والذي قرره الأشاعرة تبعاً للمعتزلة والفلاسفة، فقد ذكروهما في رد شبهة تعدد القدماء وفي تقرير

إفراده تعالى بالربوبية والألوهية، على الرغم من أن هذا التقرير لمعنى (الوجود) و(واجب الوجود) يعود على ما أثبتوه من صفات المعاني - التي قالوا: إنها زائدة عن الذات - بالإبطال، بل وينفي مئات النصوص الدالة على باقي صفاته تعالى، كون الصفات جميعها بدلالاتها المختلفة دالة على نفس الذات أيضاً وليست مباينة لها ولا منفصلة عنها.. كما أن وصفهم (الوجود) بأنه صفة نفسية أمرٌ ذهني لا حقيقة له، وهذا كاف ببطلان أن يكون الله بهذه الهيئة الذهنية.. بل إن تفريق الأشاعرة بين وصف الله بـ (الصفة النفسية) و(صفات المعاني) الثبوتية أشد فساداً من تفريق أهل المنطق بين الصفات الذاتية والصفات اللازمة للماهية، كون هذا التفريق كما ذكر ابن تيمية في درء التعارض ٣٧٤/٢: «لا حقيقة له».

أما عن إثبات الأشاعرة للصفات السلبية التي هي: (القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية) والتي أوضح اللقاني تبعاً للأشاعرة أنها لا تتضمن أمراً ثبوتياً وذكر البيجوري: أنها «التي دلت على سلب ما لا يليق به سبحانه» يعني: من أضدادها، وأنها «ليست منحصرة» على هذه الخمسة..

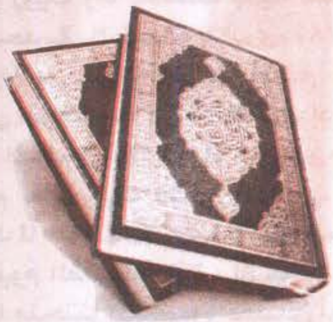
فيَردُ عليه: أنه فضلاً عن أنها مفضية بسلبيتها إلى نفي الصفات الخبرية والفعلية كما سيأتي، وأن أسماء الله وصفاته توقيفية والصفات السلبية ليست كذلك، فإن مدلول صفات السلب عدمي وهو سبحانه لا يتمدح بالأمر العدمي، وإنما يتمدح بما هو ثابت له سواء أكان عن طريق الإثبات أو عن طريق النفي المجمل المتضمن كمال ضده، كما أن قول الأشاعرة عن الصفات السلبية: إنها «ليست منحصرة»، وعدم قصرهم إياها على ما ورد في الكتاب والسنة بحيث صار ما ينفونه أضعاف أضعاف ما يثبتونه من العشرين صفة أو سبع المعاني إن شئت، والاعتماد في نفي ما يضاد الكمال من النقائص والعيوب على أنها مستلزمة لتشبيه الله بمخلوقاته، كل هذا مخالف لمنهج أهل السنة المعتمد في نفي هذه النقائص على إثبات ما يقابلها بالضرورة وبطريق الاستلزام، و«أنه تعالى - فيما نفوه في باب الصفات بما فيها الخبرية والفعلية - لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بأنه مباين للعالَم لكان داخلاً فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم اتصافه بالأخرى، وتلك السلبية صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات، فتنزيه الخالق عنها أولى»، وعلى هذا يكون القياس كذا في الفتاوى ٨٨/٣.

يضاف لذلك أن التوسع في هذا الباب على غير طريقة أهل السنة هذه؛ أدخل كل من يريد أن يعطل الله عن أسمائه وصفاته فنفى ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله بحجة أن إثبات ذلك يستلزم التشبيه، فالأشاعرة حين نفوا عن الله استوائه على عرشه مثلاً لتوهمهم النقص في احتياج الله إلى العرش، خالفوا صريح ما أثبته سبحانه لنفسه في غير ما آية، كما انتهكوا حرمة مئات الأخبار في السنة الصحيحة وآثار الصحابة والتابعين، وقابلوا كل ذلك بالتحريف والتأويل والتعطيل، ومن هنا كانت الطريقة السائدة في القرآن والسنة على خلاف ما عليه الأشاعرة، أعني: على النفي المجمل والإثبات المفصل، وكانت طريقة أهل السنة مبتناة على التوسع في صفات الإثبات دون صفات السلوب التي التوسع فيها من دأب الجهمية والمعتزلة.

وعن هذا النهج غير السوي يقول الذهبي في (العلو) ص١٩٠: «سلب هذه الأشياء وإثباتها مداره على النقل، فلو ورد شيء بذلك؛ نطقنا به، وإلا فالسكوت والكف أشبه بشمائل السلف، إذ التعرض لذلك نوع من الكيف وهو مجهول، وكذلك نعوذ بالله أن نثبت استواءه بمماسة أو تمكن، بلا توقيف ولا أثر، بل نعلم من حيث الجملة أنه فوق العرش كما ورد النص».

ومن قبله يقول شيخ الإسلام في درء التعارض١٦٣/٥: «أخبر الله في كتابه بإثبات مفصل ونفي مجمل، والمعطلة الجهمية متكلمهم ومتفلسفهم أخبروا بإثبات مجمل ونفي مفصل».ا.هـ، وقد تبعهم في هذا متأخرو الأشاعرة مخالفين بذلك منهج القرآن والسنة وخير القرون وتابعيهم بإحسان، ورحم الله أبا حنيفة حين صب لعنته على من فتح هذا الباب وابتدع هذه الطريقة، فقد قال لما سُئل عن الكلام في الأعراض والأجسام: «لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا».. هذا عن منهج الأشاعرة في الصفات السلبية على الإجمال.

أما على التفصيل فهذا ما سيتناوله حديث الحلقة القادمة بمشيئة الله.. والحمد رب العالمين.



ولاية الله بين أهل السنة ومخالفيهم

الحلقة الثانية

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ (صحيح البخاري (٦٥٠٢)).

ذكرنا في العدد الماضي جملة من الفوائد العقدية والتربوية المستفادة من "حديث الولي" وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه من فوائد فنقول مستعينين بالله عز وجل:

أولاً: عقيدتنا في كرامات الأولياء:

من أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بكرامات الأولياء وإثباتها والتصديق بها، خلافًا لمن أنكرها من المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة بدعوى التباسها بالمعجزة وهي دعوى باطلة لأن الكرامة لا تُقترنُ بدعوى الرسالة وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم. قال الإمام الطحاوي: "ولا نُفضلُ أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبيٌ واحد أفضلُ من جميع الأولياء، ونؤمنُ بما جاء من كرَامَاتهم، وصحَّ عن الثقات من رِوَايَاتهم" (شرح الطحاوية: ٧٤٥/٢).

وقال السفاريني- رحمه الله- في منظومته:

وكُل خَارقٍ أتَى عند صَالح من تَابع لشَرعنا وناصح فإنها من الكرامات التي بها نَقول تبعًا للأدلة، ومن نَفَاها من ذَوى الضَلال فقد أتَى في ذاكَ بالمحال؛ فإنها شَهيرَة، ولم تَزَل في كل عصر، يا شَقَا أهل الزَلل.(لوامع الأنوار البهية/ للعلامة

السفاريني جـ ٢ صـ٣٩٢).

الأدلة عل كرامات الأولياء:

منها ما ذكره الله تعالى في كتابه من مجيء الرزق لمريم تفضلاً منه سبحانه؛ وليس من أحد من البشر، وكذا إنبات الرطب وإجراء النهر لها؛ ولم يكن شيء منها قبل ذلك، ومنها: ازورار الشمس عن أهل الكهف؛ فلا تصيبهم مع أنهم في مكان منفتح انفتاحاً واسعاً، ومنها: إحضار الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام. ومنها: تكلم الغلام في المهد، ومنها: عجز الملك عن قتل الغلام حتى قال: بسم الله رب الغلام (انظر: صحيح البخاري، ح/٢٣٥٨، ٥٠٨٤).

ومنها ما وقع للصحابة رضي الله عنهم وهي كثيرة جدًا: مثل ما كان من أسيد بن حضير وهو يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظُلَّة فيها أمثال السُرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته) رواه البخاري (٥٠١٨).

وعبادُ بن بشر، وأسيدُ بن حُضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة؛ فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوءُ معهما رواه البخاري (٤٦٥).

وقصة الصدِّيق رضي الله عنه في الصحيحينَ (لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربى من أسفلها أكثر منها فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا) رواه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧). وخُبيبُ بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكة- شرَّفها الله تعالى- وكان يُؤتَى بعنبٍ يأكله، وليس بمكة عُنبَة رواه البخاري (٣٠٤٥).

وخرجت أمُّ أيمن مُهَاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسا على رأسها فرفعته، فإذا دَلو معلقٌ فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٢٤/٨).

والبَراءُ بن مالك كان إذا أقسَمَ على الله تعالى أبر قسمه، وكانت الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء أقسِم على ربك فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيُهزمُ العَدُو، فلما كان يومُ القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لَمَا مَنحتَنا أكتافهم وجعلتني أولَ شهيد فَمُنحوا أكتافهم وقُتل البَراء شهيداً) رواه أبو نعيم في (حلية الأولياء:١/٧).

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشًا أمر عليهم رجلا يسمى سارية فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر (يا سارية الجبل يا سارية الجبل فقدم رسول الجيش فسأل فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدوًا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية الجبل يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله) رواه اللالكائي في (شرح اعتقاد أهل السنة) (١٣٣٠/٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة)) (٣٧٠/٦) وصححه الألباني في المشكاة.

والعلاءُ بن الحَضرَمي كان عاملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين ودعا الله تعالى لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخُيُولهم فمرُّوا كلهم على الماء ما ابتلّت سُروجِ خيولهم. رواه الطبراني (٩٥/١٨).

لا للغلو في الأولياء:

ومع ما ذكرنا من كرامات للأولياء فإننا نؤمن ببطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو؛ فأولياء الله ليسوا مَعصُومين، ولا يَعلمُون الغيب، وليس لهم قدرة علي التصرف في الخلق و الرزق ولا يَدعُونَ الناس إلى تعظيمهم، ومن فعل ذلك فليس بولي الله بل كذاب أفاك

ولي للشيطان.

ثانياً: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة:

لا تلازم بين الولاية وظهور الأمور الخارقة للعادة، فكثير من أولياء الله الصادقين من الصحابة والتابعين لم يحدث لهم خوارق وهم مَن هم في الفضل والسبق.

يقول الليث: "لو رأيت الرجل يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة". قال الشافعي رحمه الله: "قصَّر والله الليث بل لو رأيته يطير في الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة".

لذلك فالخوارق التي تحدث للعباد وتجرى على أيديهم؛ منها كرامات رحمانية ومنها خوارق شيطانية، وضابط الكرامة لزوم الاستقامة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وإذا عرفت أنه لابد للولي من أن يكون مقتديًا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء منها يخالف هذا المعيار فهو رد عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنَّه ولي الله، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن فإنَّه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية، ولهذا نراه يظهر من أهل البدع بل من أهل الكفر وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه لأن الشيطان أميل إليهم؛ للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرع الله سبحانه لعباده" (ولاية الله والطريق إليها ص٢٣٧).

فالكرامة الحقَّة التي بها نجاة العبد إنما هي استقامته على أمر الله عز وجل حتى يأتيه الموت قال الجوزجاني: "كن طالبا للاستقامة لا طالباً للكرامة؛ فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة". (مجموع الفتاوى (١١/٣٢٠).

ثالثاً: أعظم الكرامات:

ولا شك أن من أعظم الكرامات، ما أكرم الله به سلف هذه الأمة وعلماءها الأفذاذ المجددين والمصلحين فيها؛ حيث بارك في أوقاتهم، وأعمارهم، وعلمهم، وأعمالهم؛ فكتب بعضهم ما يَعجزُ غيرُه على نسخه في مُدة عُمره كُله. (انظر طبقات الشافعية ٢/٣٣٣-٣٣٤).

وكان لعلومهم ومؤلفاتهم من الأثر العظيم ما نراه إلى يومنا هذا، وكتب الله لها البقاء والنماء والانتشار، وكم كان للمصلحين على مدار العصور من الأثر المبارك في أقوامهم، وكم يترتب على مواقفهم الحميدة من آثار جليلة وثمار عديدة تجنيها الأمة وتنعم بها طيلة سنين أو قرون!

وتأمَّل قوله تعالى في فضل من آتاهم العلم: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» البقرة وتأمل قول الله عز وجل أيضا في أعظم شهادة في القرآن: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (سورة آل عمران: الآية ١٨).

فيا لها من كرامات وعطايا وهبات من خالق الأرض والسموات لعباده وأوليائه

ما الفَضلُ إلا لأهل العلم إنهمُ
عَلى الهُدى لِمَن استَهدى أدلاءُ
وقَدْرُ كلِّ امرئٍ ما كان يُحسنُه
والجاهلونَ لأهلِ العلم أعداءُ
فَفُز بعلم تَعِشْ حيًا به أبدًا
الناسُ مَوتى وأهلُ العلم أحياءُ

رحم الله سلف هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وجمعنا بهم بصحبة نبينا الأمين، صلى الله عليه وسلم في جنات النعيم، والحمد لله رب العالمين.



المسلمون في ألمانيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فما زلنا نتجول في القارة العجوز أوروبا، نتعرف على أحوال المسلمين هناك، في ظل الهجمة الشرسة التي يخوضها أعداء الإسلام على بلاد المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض، وما يُحاك ضدهم في البلدان التي يقطنونها في ظل التُّهم التي توجَّه ظلمًا ضد المنتمين إلى هذا الدين العظيم؛ دين الإسلام، والله سبحانه ناصرُ دينه وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي بقعة أخرى من بقاع أوروبا نتجول في عجالة لنتعرف على أحوال المسلمين فيها، والى التفصيل:

إعداد/ جمال سعد حاتم

رئيس التحرير

إحصاءات عن المسلمين في ألمانيا

يعيش في ألمانيا ما يزيد عن ٤ ملايين مسلم يمثلون نسبة ٥٪ من سكان ألمانيا، وأهل السنة بين مسلمي ألمانيا يمثلون ٧٤٪ من المسلمين هناك، والشيعة ١٣٪.

وقرابة ٤٥٪ من المسلمين في ألمانيا ينحدرون من أصول مهاجرة يحملون الجنسية الألمانية، وما يقرب من ٢,٥ مليون منهم ينحدرون من تركيا، بينما يبلغ تعداد المنحدرين من دول جنوب شرق أوروبا كالبوسنة والهرسك وبلغاريا وألبانيا ٥٥٠ ألف شخص من المسلمين هناك.

ويُعدُّ المسلمون المهاجرون إلى ألمانيا من البلاد العربية ثالث أكبر جالية في ألمانيا، ويبلغ تعدادهم حوالي ٤٠٠ ألف مهاجر من بلدان منطقة الشرق الأوسط؛ كلبنان والعراق وسوريا ومصر.

ويكثر عدد المهاجرين من بلدان شمال إفريقيا، ومن المغرب على وجه الخصوص، ويبلغ عددهم ٢٨٠ ألف مسلم يعيشون في ألمانيا.

أما الجزء الآخر فيشكله المسلمون المهاجرون من دول آسيا الوسطى «الدول المستقلة»، وإيران وجنوب شرق آسيا، وباقي الدول الإفريقية.

بداية ظهور الإسلام في ألمانيا

بدأ ظهور الإسلام وانتشار المسلمين في ألمانيا بأعداد كبيرة على وجه الخصوص في ستينيات القرن العشرين عندما استعانت ألمانيا بالعمالة التركية للمساهمة في إعادة بناء ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية.

كما وفد الكثير من المسلمين إلى ألمانيا في السبعينيات على شكل موجات من اللجوء السياسي، ومع ذلك فإن بداية احتكاك ألمانيا بالإسلام والمسلمين يعود إلى قرون سابقة.

وقد كان أول اتصال للألمان بالعالم الإسلامي أيام الحروب الصليبية، فلقد شارك الألمان في تلك الحروب، وكان هناك اتصالات دبلوماسية بين ملوك

الأندلس والألمان، ودرس «مارتن لوثر» القرآن برغم التراجم المحرَّفة، وتأثر «غوته» بتعاليم الإسلام والمسلمين، وبدأ الاستشراق بما بذله «يعقوب كريستمان» من تعلم اللغة العربية، وألف فيها كتبًا، وافتتح كرسي لها في جامعة هيدلبرج عام ٩٩٩هـ.

وازداد تعداد المستشرقين، ولم تجتمع الجماهير الألمانية بجمهور المسلمين إلا إبَّان الحرب العالمية الأولى؛ حيث أطلق سراح بعض الأسرى المسلمين ففضل الكثير منهم العيش في ألمانيا، كما توافد على ألمانيا عدد من التجار والعمال المسلمين، وأخذ عدد من الألمان يعتنقون الإسلام.

وبعد الحرب العالمية الثانية، قدمت موجات من اللاجئين المسلمين من شرق أوروبا، وهرب جنود من المسلمين من الجيش السوفييتي إلى ألمانيا، كما هاجر العديد من الأتراك من الاتحاد السوفييتي إلى ألمانيا الغربية، كما هاجر إليها العمال الأتراك والمغاربة واليوغسلاف، إضافة إلى أعداد كبيرة من الطلاب المسلمين.

أحوال المسلمين في ألمانيا

انتشرت في ألمانيا كما انتشرت في أوروبا كلها المخاوف من انتشار التطرف في أوساط المسلمين هناك، خاصة بعد وقوع أحداث سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد تعرُّض مدريد ولندن لضربات تنظيم القاعدة، خاصة بعد الأخذ بعين الاعتبار أن منفذي أحداث سبتمبر كانوا قادمين من ألمانيا، فيما يعرف بخلية «هامبورج».

وتشير الأرقام الصادرة عن الحكومة الألمانية في تقرير صدر عنها عام ٢٠٠٧م إلى أن عدد المسلمين في ألمانيا قد بلغ ٣,٤ مليون مسلم من أصل تعداد السكان الإجمالي، والبالغ آنذاك ٨٢ مليون نسمة، وبذلك يعتبر المسلمون في ألمانيا أكبر الأقليات الدينية بعد المسيحيين؛ حيث إن البروتستانت والكاثوليك هم الأكبر.

ويرتكز المسلمون في المدن الصناعية الكبرى الواقعة في ما كان يُعرف بألمانيا الغربية، وفي مدينة برلين، والتي يوجد بها وحدها نحو ٢٢٠ ألف مسلم، ومع ذلك فإنه يوجد في ألمانيا، وكذلك الأجزاء الألمانية من سويسرا والنمسا، أعداد كبيرة من المسلمين في تلك المدن، بخلاف الدول الأوروبية الأخرى التي يكثر تواجد المسلمين فيها في المناطق الريفية من تلك البلدان.

المساجد والهيئات الإسلامية في ألمانيا

يوجد في ألمانيا قرابة ٤٠٠ هيئة ومؤسسة إسلامية، والعشرات من المراكز الإسلامية التي تهدف إلى توثيق الأخوة الإسلامية، وتزويد المسلمين بالكتب الإسلامية، وفتح المدارس التي يتعلم فيها أبناء المسلمين هناك، وترجمة الكتب الإسلامية إلى ألمانيا، وإصدار الدوريات الإسلامية، والحفاظ على الهوية الإسلامية. ويوجد في ألمانيا أكثر من ٣٠٠ مسجد منتشرة في المدن الألمانية الكبرى، وتشير التقديرات الرسمية الصادرة عن الحكومة الألمانية إلى وجود ٢٥٠٠ مصلى في ألمانيا الكثير منها عبارة عن مجرد غرفة لأداء الصلوات.

ويتلقى المسلمون تعليمهم الإسلامي في بعض المدارس الملحقة بالمساجد أو المراكز الإسلامية أيام العطلات، وهي غير كافية، وينقصها توحيد البرامج الدراسية، كما توجد أماكن للصلاة في بعض الجامعات الألمانية.

تحديات تواجه المسلمين في ألمانيا

ألمانيا هي إحدى دول أوروبا الوسطى، تطل على بحر البلطيق، ولها جبهة بحرية على الشمال، تحدها بولندا من الشرق، وتشيكوسلوفاكيا من الجنوب الشرقي، والنمسا وسويسرا من الجنوب الغربي، وتشترك في حدودها الغربية مع كلٍّ من هولندا وبلجيكا وفرنسا، وتشترك في حدودها الشمالية مع الدنمرك.

ويواجه المسلمون في ألمانيا العديد من التحديات، من أبرزها: الربط المتواصل بين الدين الإسلامي والتطرف، وهو أمر سيئ ويعطي صورة سلبية عن الدين الإسلامي، وغالبًا ما نرى عدم التمييز بين الإسلام وبين التطرف مما يؤدي إلى انتشار كثير من صور العداء للإسلام، وهو ما يُشاهد على أرض الواقع. ويرى المسلمون أنه على الرغم من ذلك كله إلا أن هناك إيجابيات ملحوظة في بعض الولايات الألمانية، حيث تشهد تطورات إيجابية تصب في مصلحة المسلمين.

نسأل الله تعالى أن ينصر دينه وكتابه وعباده الصالحين، وأن يحفظ المسلمين في كل مكان، إنه جود كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشحاذة بين الاحتراف والاحتياج

الحلقة الثالثة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أحكام الشحاذة، وفي هذا العدد نتناول ما تبقى من أسبابها، ووسائل علاجها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خامسًا: التربية الخاطئة في مرحلة الطفولة:

وتعليم الأطفال على طلب الحاجة إلى الغير، وبطلب العون من كل أحد قد يحصل الأنس بالتسوّل؛ فقد يتسوّل البعض للحصول على المال، ولكن بمرور الزمن يحدث لديهم أنس بالتسوّل نفسه، فيصبح المتسوّل ثريًا، أو قد يجد من يكفيه من المال من ابن أو من قريب أو ما شابه ذلك، ولكنه لا يترك التسوّل لاعتياده عليه، ولحدوث حالة الأنس بينه وبين التسوّل.

سادسا: توارث الظاهرة من الآباء وانتقالها إلى الأبناء: فأغلب المتسوّلين يصحبون أطفالهم أثناء التسوّل، لتصبح مهنتهم هي التسوّل بعد التعوّد عليها وعدم وجود الرادع لهم.

سابعًا: سوء توزيع الثروات داخل المجتمع: وقلّة التراحم والاقتصار على بذل اليسير من المال غير الكافي لسدّ حاجة المحتاجين، أو الذي لا يصل إلى مستحقيه بشكل عادل؛ فالمتسوّل قد لا يجد من يعطف عليه لإشباع حاجاته الأساسية من مأكل وملبس ومسكن فيوزّع طلباته على كل الناس، ليجمع منهم اليسير، وليعطيه كل شخص جزءًا يسيرًا من المال، حتى يحصل بتجميعها مبلغاً لا بأس به.

من وسائل علاج مشكلة الشحاذة (التسول):

١- اللجوء إلى الله تعالى: التوجّه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والإلحاح به مع توفير شروطه، فإن الدعاء المصحوب بالسعي للحصول على العمل وعلى الرزق يحقق للإنسان طلبه في الحصول عليه فيستغني عن الآخرين ولا يضطر إلى التسوّل.

أ- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ..» سنن الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني.

ب- عَن عبد الله بن مَسْعُود رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من نزلت بِهِ فاقة فأنزلها بالنَّاس لم تسد فاقته، وَمن نزلت بِهِ فاقة فأنزلها بِاللَّه فيوشك الله لَهُ برزق عَاجل أَو آجل. صحيح الجامع (٦٥٦٦) يُوشكُ: أيْ يُسْرِع.

ج- عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ. حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٥٦٣).

- قوله: "وأغنني بفضلك عمّن سواك" أي: واجعل فضلك وهو ما تَمُنُّ به عليَّ من نعمة وخير ورزق مغنيًا لي عمّن سواك، فلا أفتقر إلى غيرك، ولا ألتجئُ إلى أحد سواك. فقه الأدعية والأذكار(٣/٢٠٠).

٢- الاستغناء عن الناس: عن سهل بن سعد الثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فقال: يا محمدُ عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارِقُه،

واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، واعلم أن شرفَ المؤمن قيامُهُ بالليل وعزّه استغناؤه عن الناس). صحيح الجامع (٧٣).

٣- العمل والبعد عن الكسل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» صحيح مسلم (١٠٤٢).

٤- القناعة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» صحيح مسلم (١٠٥٤).

قد أفلح الإنسان الذي دخل في هذا الدِّين، فأسلم نفسه، وأسلم وجهه، وأسلم قلبه لله رب العالمين، يحكم فيه بما يشاء، ويفعل فيه ما يريد، ولا يعترض على الله، فإذا رزقه الكفاف-أي: على قدر الحاجة، لا زيادة ولا نقصان- ورزقه الله سبحانه وتعالى القناعة مع الرزق الذي ساقه إليه، فإنه يقنع. شرح رياض الصالحين – حطيبة (٣٦/٢).

٥- الأخذ بنظام الأسر المنتجة: فبدلاً من إعطاء المتسول مبلغاً من المال فيُمكن توفير فرصة عمل له أو تعليمه حرفة أو فتح محل له ليُصبح عضواً منتجاً، ويُمكن أن يقوم بعض رجال الأعمال ببعض هذه المشاريع الخيرية في إطار الدور الاجتماعي الذي يقع على عاتق أصحاب رؤوس الأموال.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟» قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: «ائْتِنِي بِهِمَا»، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟» قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا»، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ»، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا» فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." سنن أبي داود (١٦٤١) والترمذي (١٢١٨) وقال حسن.

٦- إنشاء قاعدة بيانات للأسر الفقيرة: البيانات تتضمن كافة المعلومات الاقتصادية والاجتماعية عن كل فرد من أفراد الأسرة، حتى يُمكن توجيه المساعدات والمعونات النقدية والعينية بصورة شهرية أو متكررة أو طارئة أو استثنائية.

٧- تفعيل دور المواطن: في الوقاية من ظاهرة التسول، وذلك بعدم التبرع لأي شخص يطلب أو يستجدي المال في الشارع أو على أبواب المساجد أو المستشفيات أو غيرها من الأماكن العامة، بل يتم توجيه هذه الأموال وإيداعها في صناديق خاصة توزع حصيلتها على الأسر المعوزة من واقع البيانات الرسمية.

٨- تحقيق التكافل الاجتماعي: تكفل الإسلام أصحاب الحاجات ومن على شاكلتهم ولم يتركهم هملاً وعُرضة لآفة الفقر والحرمان من قِبَل المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه ويُحسبون عليه، بوسائل كثيرة، من زكاة مفروضة وصدقات وكفارات.

اللَّهُمَّ اكْفِنا بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

الخلل في الفهم.. وليس في كتب التراث

إعداد/ المستشار/أحمد السيد علي
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أمَّا بعدُ:

فقد تعالت بعض الأصوات التي تنادي بضرورة تنحية كتب التراث من تفسير، وفقه، وعقيدة، وغيرها جانبًا، والرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقط، دون الحاجة إلى فهم سلف الأمة لهما، وإنما بفهم من يرجع إليهما الآن، بزعم أن كتب التراث- والتي تحوي أقوال سلف الأمة من الأئمة الأربعة، وغيرهم كابن تيمية، وابن القيم، هي من أفرزت الجماعات المتطرفة كداعش، والقاعدة، وغيرهما.

وللرد على هؤلاء نقول: إن قولهم هذا غير صحيح يكذّبه التاريخ والواقع، وبيان ذلك كالتالي:

أما التاريخ: فإن بداية نشأة فكر الخوارج- والتي تنتسب إليه سائر الجماعات المتطرفة الآن- كان في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث لم يكن هناك سوى القرآن والسنة، ولم تكن هناك كتب للتراث، ولم يكن أحد من علماء السلف- كالأئمة الأربعة أو ابن تيمية، أو ابن القيم، قد ولد بعدُ حتى يستقي منه الخوارج منهجهم الضالّ كما تزعمون، وإنما نشأ فكرهم الضال المنحرف من الخلل في فهم مراد الله من آيات القرآن، ومراد رسوله من سنته.

وقد كان أول من ناقشهم ودفع شبههم وفهمهم السقيم للقرآن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس وإليك حوارهم معه وكيف رد عليهم شبههم لتعرف الفرق بين فهم الصحابة للقرآن والسنة وبين الفهم السقيم لهؤلاء:

أولاً: حملة فقه ليسوا بفقهاء:

فالخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه كانوا من قراء الناس حفظة كتابِ الله، ففي الحديث «خرَجَ عليْه ثمانيةُ آلافٍ من قُرَّاءِ الناس فنزَلوا أرْضًا من جانِبِ الكوفة يُقالُ لها حَرُوراءُ»، ولكنهم ليسوا بفقهاء، أصحاب فقه سقيم وفهم معوج، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا النوع من البشر حامل الفقه وليس بفقيه، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نضَّرَ اللهُ امرأً سمعَ منَّا حديثًا فحفظَهُ حتَّى يبلِّغَهُ فربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منْهُ وربَّ حاملِ فقْهٍ ليسَ بفقيهٍ» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

ثانيا: إنكارهم ما أحل الله:

حيث قالوا: «مرحبًا بكَ يا ابنَ عبَّاسٍ فَما هذهِ الحلة؟».

فرد عليهم: «قالَ قُلتُ: ما تَعيبونَ عليَّ لقد رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في أحسَنِ ما يَكونُ منَ الحللِ ونزلت: " قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ "».

ثالثا: استدلالهم بالآيات في غير موضعها:

فقال بعضُهم: لا تُخاصموا قريشًا فإن اللهَ يقولُ: " بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ " وفي الرواية الأخرى: «قامَ ابنُ الكوَّاءِ فخطَبَ الناسَ فقال: يا حمَلةَ القرآنِ: إنَّ هذا عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ فمَنْ لم يكنْ يعرِفُهُ فأنا أعرفُهُ من كتابِ اللهِ هذا مَنْ نزل فيه وفي قومِه: «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ».

وهذه الآية نزلت في كفار قريش، ومخاصمتهم للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» (الزخرف: ٥٧ - ٥٨) فوضعها الخوارج في غير

موضعها، وعمموا حكمها على كل قريش، بالرغم من نزولها في كفار قريش.

رابعًا: فهمهم المعوج للآيات والأحاديث:

فقد قال لهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «أخبروني ماذا نقمتم على ابن عمِّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثًا قلتُ: ما هنَّ؟ قالوا: أمَّا إحداهنَّ فإنَّه حكَّم الرِّجال في أمر الله، وقال الله تعالى: "إن الْحُكْمُ إلاَّ لله " وما للرِّجال وما للحُكم، فقلتُ: هذه واحدةٌ قالوا: وأمَّا الأخرى فإنَّه قاتل ولم يَسب ولم يَغنم فلئن كان الذي قاتل كفَّارًا لقد حلَّ سبيُهُم وغنيمتُهم ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ قتالُهم قلتُ: هذه اثنتان فما الثَّالثةُ؟ قال: إنه محا نفسَهُ من أمير المؤمنينَ فهو أميرُ الكافرينَ قلتُ أعندَكُم سوى هذا؟».

فرد عليهم ابن عباس قائلاً: «أرأيتُم إن قرأتُ عليكُم من كتاب الله ومن سنَّة نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم ما يُرَدُّ به قولُكُم أترضَونَ؟ قالوا: نعم فقلت: أمَّا قولكُم حكَّم الرجالَ في أمر الله فأنا أتلو عليكُم ما قد رُدَّ حُكمُهُ إلى الرِّجال في ثمنِ رُبع درهَمٍ في أرنَب ونحوِها منَ الصَّيد فقالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ " إلى قوله: " يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ " فنشَدتكُمُ الله أحُكمُ الرِّجال في أرنَب ونحوِها منَ الصَّيد أفضلُ أم حكمُهم في دمائهم وصَلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أنَّ الله لو شاءَ لحَكَمَ ولم يُصيِّرْ ذلكَ إلى الرِّجال، وفي المرأة وزوجها قال الله عزَّ وجلَّ: «وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا " فجعلَ الله حُكمَ الرِّجال سُنَّةً مأمونةً. أخرجتُ عَن هذه قالوا: نعَم.

قالَ: وأما قولُكُم قاتَلَ ولم يَسب ولم يغنَم، أتَسْبُونَ أمَّكمْ عائشةَ ثم يستحلُّونَ منها ما يُستَحَل من غيرها فلئن فعَلتُم لقد كفرتُم، وهي أمُّكُم ولئن قلتُم ليسَت أمَّنا لقد كفرتُم فإن الله يقول: " النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " فأنتُم تدورونَ بينَ ضَلالتَين أيُّهما صرتُم إليها صرتُم إلى ضَلالةٍ فنظرَ بعضُهم إلى بعضٍ، قلتُ: أخرَجتُ من هذه؟ قالوا: نعَم.

وأما قولُكُم: محَا اسمَهُ من أمير المؤمنينَ فأنا آتيكُم بمن ترضَونَ ورأيكم قد سَمعتُم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يومَ الحديبيةِ كاتَبَ سهيلَ بنَ عمرو وأبا سُفيانَ بنَ حربٍ فقالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ لأمير المؤمنينَ: اكتُبْ يا عليُّ هذا ما اصطَلح عليه مُحمَّدٌ رسولُ الله، فقالَ المشركونَ: لا والله ما نَعلَمُ أنَّكَ رسولُ الله لو نَعلَمُ أنَّكَ رسولُ الله ما قاتَلناكَ: فقالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: اللهُمَّ إنَّكَ تعلَمُ أنِّي رسولُ الله اكتُبْ يا عليُّ هذا ما اصطَلحَ عليه مُحمَّدُ بنُ عبدِ الله فوالله لَرسولُ الله خيرٌ من عليٍّ وما أخرجَهُ من النبوَّة حينَ محا نفسَهُ».

خامسًا: الفهم السليم سبب للهداية والرشاد:

وأمام تهاوي حجتهم الواحدة تلو الأخرى فقد رجع من القوم إلى الحق ألفان، وقيل أربعة آلاف.

سادسًا: الأسباب المانعة من قبول الحق:

وقُتلَ سائرهُم على ضلالَة، لعدم قبولهم الحق الذي جاء به ابن عباس رضي الله عنهما، وقد قال ابن القيم- رحمه الله- في كتابه " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" ص١٥: "الأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدًا فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس، فإن من جَهِلَ شيئًا عاداه وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمَرَهُ بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه قوي المانع من القبول جداً.

فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازداد المانع من قبول الحق قوة، فإن هرقل عرف الحق وهمَّ بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الإسلام بعد ما تبين له الهُدى، كما سيأتي ذكر قصته إن شاء الله تعالى.

ومن أعظم هذه الأسباب: الحسد، فانه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه.

وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع غص بريقه واختار الكفر

على الإيمان بعد إن كان بين الملائكة.

وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم وقد علموا علماً لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء.

هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة، ولم يأت بشريعة يخالفهم ولم يقاتلهم، وانما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمة وإحساناً، وجاء مكملاً لشريعة التوراة، ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الإيمان، فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع، مبكتاً لهم بقبائحهم، ومنادياً على فضائحهم، ومخرجاً لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ويعلو هو وأصحابه وهو معه دائماً في سفال، فكيف لا يملك الحسد والبغي في قلوبهم؟ وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى؟ وهذا السبب وحده كاف في رد الحق، فكيف إذا انضاف إليه زوال الرياسات والمأكل كما تقدم؟

وقد قال المسور بن مخرمة- وهو ابن أخت أبي جهل- لأبي جهل: يا خالي هل كنتم تتهمون محمدا بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي، والله لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم فينا وهو شاب يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذبا قط. قال: يا خال! فما لكم لا تتبعونه؟! قال:يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي، فمتى ندرك مثل هذه؟!

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء، والحجابة، والسقاية، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟!

وقال أيضا رحمه الله: "فلم يزل في الناس من يختار الباطل، فمنهم من يختاره جهلاً وتقليداً لمن يحسن الظن به، ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً، ومنهم من يختاره طمعا ورغبة في مأكل أو جاه أو رياء، ومنهم من يختاره حسداً وبغياً، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقاً، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره راحة ودعة" »اهـ.

سابعا: انحراف الفهم سبب لانحراف القول والفعل:

وقد قادهم فهمهم المنحرف إلى أن: «قَطعُوا السبيلَ، وسَفَكُوا الدِّماءَ، وقتلوا ابنَ خبَّاب، واستحَلُوا أهلَ الذمَّة».

وأما الواقع:

فيكذبهم من ناحيتين:

الأولى: أن كتب التراث تحارب الفكر المنحرف والجماعات الضالة: كالخوارج، وليس أدل على ذلك من أن ابن تيمية – رحمه الله – وهو أكثر من أتهم بأنه مرجع الجماعات المتطرفة، قد حارب فكرهم، وبين ضلالهم، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى": «فَإِنَّ الأُمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَتَضْلِيلِهِمْ وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تَكْفِيرِهِمْ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَد وَفِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا نِزَاعٌ فِي كُفْرِهِمْ. وَلِهَذَا كَانَ فِيهِمْ وَجْهَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الأُولَى: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ بُغَاةٌ. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ كُفَّارٌ كَالْمُرْتَدِّينَ، يَجُوزُ قَتْلُهُمْ ابْتِدَاءً، وَقَتْلُ أَسِيرِهِمْ، وَاتِّبَاعُ مُدْبِرِهِمْ، وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ اُسْتُتِيبَ كَالْمُرْتَدِّ فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ قُتِلَ» اهـ.

الثانية: أن كل أهل العلم وطلبته يرجعون إلى كتب التراث لينهلوا منها: فلو كانت تلك الكتب هي السبب في الانحراف والضلال لانحرف كل من يقرأها، وضل سواء السبيل، والواقع غير ذلك إذ أن من يرد على خوارج العصر كداعش بدعتهم هم من درس كتب التراث ويستدلون بما جاء بها، ويبينون للخوارج الخلل في فهمهم لكلام سلف الأمة.

الخلاصة:

وعليه فإن أردنا أن نحارب الجماعات المتطرفة فعلينا بتصحيح الخلل الموجود عندهم في فهم مراد الله، ومراد رسوله، ومراد سلف الأمة، والمقصود من النص، ولا ننحي كتب التراث جانبًا وندعو الناس إلى عدم التعويل عليها، فهذا هدم للدين لا يقول به إلا مغرض محاد لله ورسوله. والله أعلم.

مقدمة في علم القراءات

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إن القرآن العظيم ينبوع العلوم ومنشؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وكل علم يشرف بشرف متعلقه، ومن ثم صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات.

القراءات لغة:

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ، ومادة (ق. ر. أ) تدور في لسان العرب حول معنى الجمع والضم.

القراءات اصطلاحًا:

ينبغي أن ندرك أن هناك فرقًا بين القراءات وعلم القراءات كما أن هناك فرقًا بين القرآن الكريم وعلوم القرآن

فالقراءة: مذهب منسوب لإمام من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه.

فقولنا مثلا (النبيء) بالهمز قراءة نافع يعني أنه انفرد بذلك عن باقي القراء مع اتفاق الرواة وطرقهم عن نافع على هذا الحرف.

وهنا نتطرق إلى ذكر الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه:

فالقراءة: ما نُسب لإمام من أئمة القراءات إذا اتفقت الروايات والطرق عنه.

والرواية: ما نُسب إلى الآخذ عن هذا الإمام ولو بواسطة.

مثال ذلك قوله تعالى: (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا) فضم الزاي في (جزءًا) رواية شعبة عن عاصم خالف فيها حفصًا، وهو الراوي الثاني عن الإمام عاصم.

والطريق: ما نسب إلى الآخذ عن الراوي ولو نزل.

مثاله: طريق الأزرق عن ورش عن نافع، وطريق عبيد بن الصباح عن حفص عن عاصم.

والوجه: ما يرجع إلى تخيير القارئ.

مثال ذلك: إذا وقفت على العارض للسكون في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين)، فأنت مخير بين القصر والتوسط والمد، فهذه ثلاثة أوجه.

علم القراءات:

هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله.

موضوع علم القراءات:

كلمات الكتاب العزيز من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

فائدته وثمرته:

١. العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به وما لا يقرأ به.

٢. استنباط المعاني من كل حرف يقرأ به، ففيه معنى لا يوجد في قراءة الآخر، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط.

٣. التسهيل على الأمة، وإظهار شرفها من حيث إنهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه.

فضله:

هو من أشرف العلوم الشرعية؛ لتعلقه بأشرف الكتب المنزلة.

استمداده:

من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حكم تعلمه وتعليمه: الوجوب الكفائي.

القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان:

فالقرآن هو الوحي المنزَّل للإعجاز والبيان، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها.

إثبات نزول القراءات:

في الصحيحين من حديث عَبْد اللَّهِ بْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ».

وفي هذا الحديث ما يدل على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تلقى هذه الأحرف السبعة من جبريل وقرأ بها.

في صحيح مسلم (حديث رقم ٨٢١) من حديث أُبي بن كعب أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ

بَني غفَار، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَامُ، فَقَالَ: إنَّ اللَّه يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْف، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّه مُعَافَاتَهُ وَمَغْفرَتَهُ، وَإنَّ أُمَّتي لَا تُطيقُ ذَلكَ»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانيَةَ، فَقَالَ: «إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْن»، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّه مُعَافَاتَهُ وَمَغْفرَتَهُ، وَإنَّ أُمَّتي لَا تُطيقُ ذَلكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالثَةَ، فَقَالَ: إنَّ اللَّه يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَة أَحْرُف، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّه مُعَافَاتَهُ وَمَغْفرَتَهُ، وَإنَّ أُمَّتي لَا تُطيقُ ذَلكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابعَةَ، فَقَالَ: إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف، فَأَيُّمَا حَرْف قَرَؤُوا عَلَيْه فَقَدْ أَصَابُوا.

وفي مراجعة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، واستزادته ما يدل على حرصه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ على أمته وشفقته عليهم فلغاتهم شتى ولهجاتهم متعددة، وفي إنزال القرآن على سبعة أحرف توسعة من الله عز وجل على عباده وتيسير كتابه للذكر.

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمعْتُ هشَامَ بْنَ حَكيم بْن حزَام، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَان في حَيَاة رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لقرَاءَته، فَإذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوف كَثيرَة، لَمْ يُقْرئْنيهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَكدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصَّلَاة، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بردَائه، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذه السُّورَةَ الَّتي سَمعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنيهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنيهَا عَلَى غَيْر مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ به أَقُودُهُ إلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إنِّي سَمعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بسُورَة الفُرْقَان عَلَى حُرُوف لَمْ تُقْرئْنيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَرْسلْهُ، اقْرَأْ يَا هشَامُ»، فَقَرَأَ عَلَيْه القرَاءَةَ الَّتي سَمعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كَذَلكَ أُنْزلَتْ»، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ»، فَقَرَأْتُ القرَاءَةَ الَّتي أَقْرَأَني، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كَذَلكَ أُنْزلَتْ؛ إنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزلَ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف، فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ منْهُ» (صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٩٢، وصحيح مسلم حديث رقم ٨١٨).

ومن هذا الحديث يتبين لنا أن القراءات كلها كلام الله عز وجل أنزله على رسوله صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وأن الرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أقرأ بها أصحابه هذا بوجه وهذا بوجه آخر، وصوَّب من قرأ ببعضها دون بعض.

المراد بالأحرف السبعة:

أجمع العلماء على أنه ليس المقصود بالأحرف السبعة قراءة الكلمة الواحدة على سبعة أوجه؛ إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة، وكذلك أجمعوا أن الأحرف السبعة لا يراد بها القراءات السبع؛ لأن قراءات الأئمة السبعة بل العشرة التي يقرأ بها الناس هي جزء من الأحرف السبعة؛ إذ إن كثيرًا من الأحرف السبعة قد نُسخ بالعرضة الأخيرة التي عارض فيه جبريل النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قبل وفاته.

واختلفت أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة وأصح الأقوال وأولاها بالصواب أن المراد بالأحرف أوجه من اللغات تكلمت بها قبائل العرب.

أوجه اختلاف الأحرف السبعة:

اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع: كقوله: (كطي السجل للكتاب) و (للكتب).

اختلاف في التذكير والتأنيث: كقوله: (ولا يقبل منها شفاعة) قرئ بياء التذكير وتاء التأنيث.

اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر: كقوله تعالى: (قال ربي يعلم القول) قرئ (قال) و (قل).

اختلاف وجوه الأعراب: كقوله (يسبح له فيها بالغدو والآصال) قرئ (يسبح) بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول.

الاختلاف بالنقص والزيادة: كقوله تعالى: (وما عملته أيديهم) بالهاء وبغير هاء.

الاختلاف بالتقديم والتأخير: كقوله تعالى في سورة آل عمران: (وقاتلوا وقتلوا).

الاختلاف بالإبدال: كقوله تعالى في سورة يونس: (هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت) قرئ (تبلوا) بالباء وقرئ بإبدالها تاء (تتلوا).

الاختلاف في اللهجات: كالفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والتفخيم والترقيق والتحريك والتسكين، وغير ذلك. التشديد والتخفيف: كقوله: (بما كانوا يكذبون) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها.

الخطاب والإخبار: كقوله تعالى في سورة آل عمران: ١٢ (ستغلبون وتحشرون) قرئ بتاء الخطاب وقرئ بياء الغيبة (سيغلبون ويحشرون).

الصرف وتركه: كقوله: (وعادا وثمودا) في سورة الفرقان الآية ٣٨، والعنكبوت الآية ٣٨، قرئ بتنوين ثمود وبتركه.

وللحديث بقية إن شاء الله.


الآن
المجلد الجديد لمجلة التوحيد
التوحيد
١٤٣٧ هـ
موسوعة علمية
لاتخلو منها مكتبة
ويحتاج إليها
كل بيت
١٤٣٧ هـ
سارع باقتناء
نسختك من
المجلد الجديد
23936517

مجلة التوحيد لا غنى عنها لكل مسلم

التوحيد

مجلدات
مجلدات
مجلدات

بـ ١٠٠٠ جنيه فقط

مجلدات
مجلدات
مجلدات

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

عـ ٤٥ ـامًا

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

مفاجأة كبرى



الآن بمعرض الكتاب

- اشتراك سنة مجانًا بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
- الكمية محدودة والعرض سار حتى نفاد الكمية.
- يمكن بعد الشراء إرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.

نحن بانتظاركم